



جامعة البليدة 2 - علي لونيبي

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: العلوم الإنسانية

الطور 2 المستوى: الماستر 2

السداسي 3 مطبوعة بيداغوجية لمقياس:

العلاقات بين الغرب الإسلامي مع العالم المسيحي

التخصص: تاريخ وحضارة الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

د/ة حميدي مليكة

السنة الجامعية: 1443هـ - 1444هـ / 2022م - 2023م



جامعة البليدة 2 - علي لونيبي

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: العلوم الإنسانية

الطور 2 المستوى: الماستر 2

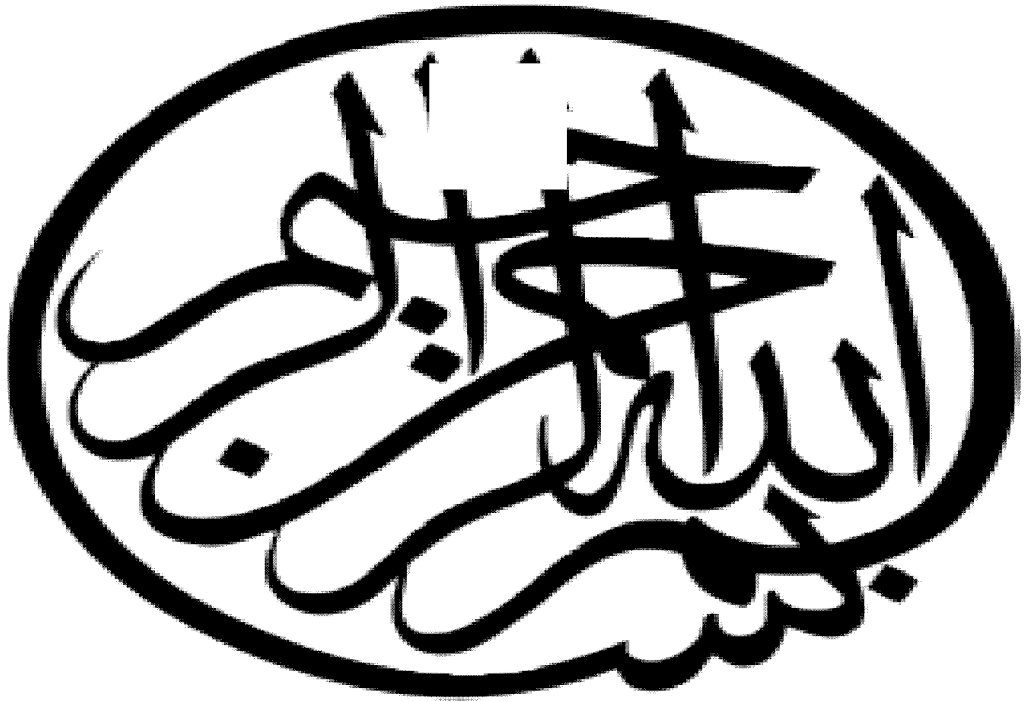
السداسي 3 مطبوعة بيداغوجية لمقياس:

العلاقات بين الغرب الإسلامي مع العالم المسيحي

التخصص: تاريخ وحضارة الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

/د

السنة الجامعية: 1443هـ - 1444هـ / 2022م - 2023م



و الصلاة و السلام على خاتم النبيين و المرسلين
و خير المعلمين للأولين و الآخرين محمد بن
عبد الله صلى الله عليه وسلم تسليما

البرنامج

اسم الوحدة: وحدة التعليم الأساسية

اسم المادة: العلاقات بين الغرب الإسلامي مع العالم المسيحي.

الرصيد: 05

المعامل: 02

أهداف التعليم: (نكر ما يفترض على الطالب اكتسابه من مؤهلات بعد نجاحه في هذه المادة، في ثلاثة أسطر على الأكثر)

1. الإلمام بتاريخ العلاقات

توظيف الطالب للغة ثانية غير اللغة العربية لتعزيز رصيده المعرفي من وجهة نظر الآخر، وهي تسمح له بالتحكم في المفردات والمصطلحات ذات العلاقة بتاريخ الغرب الإسلامي.

المعارف المسبقة المطلوبة: (وصف تفصيلي للمعارف المطلوبة والتي تمكن الطالب من مواصلة هذا التعليم، سطرين على الأكثر).

2. تعزيز تحكمه في لغة أجنبية.

محتوى المادة: (إجبارية تحديد المحتوى المفصل لكل مادة مع الإشارة إلى العمل الشخصي للطالب)

(1) علاقة الأندلس بدولة الفرنجة

(2) الغزو النورماني للأندلس.

(3) علاقة الأندلس بالامبراطورية الرومانية.

(4) علاقة الغرب الإسلامي بالنورمان والدولة البيزنطية.

(5) العلاقة مع الممالك النصرانية:

(6) الممالك النصرانية: مملكة ليون - نبرة - قشتالة-برشلونة - اراغون

(7) علاقة الامويين بالاندلس بالممالك النصرانية.

(8) علاقة المرابطين بالممالك النصرانية

(9) علاقة الموحيدين بالممالك النصرانية

(10) علاقة الحفصيين والزيانيين والمرنيين بالممالك النصرانية.

(11) تاريخ البحرية في بلاد الغرب الإسلامي

(12) دور التجار في نقل الأفكار والتقارب الحضاري

(13) العلاقات السياسية نماذج لسفارات

(14) العلاقات العلمية تنقل الطلبة والكتب

(15) تنقل الأفراد والهجرات

العلاقات بين الغرب الإسلامي مع العام المسيحي

المحاضرة 1: علاقة الأندلس بدولة الفرنجة

تمهيد

إن تاريخ المسلم الأندلس يمثل حلقة هامة من حلقات التاريخ الإسلامي عامةً وكان نموذجاً عظيمة الإسلام و السمو تاريخه وحضارته في العصور الوسطى. و قد أثر المسلمون في الأندلس سياسياً وحضارياً وعسكرياً . وحولوا مركز شبه الجزيرة الأيبيرية إلى مركز ثقل سياسي وحضاري وثقافي و إشعاع فكري. تبوأَت الدولة الإسلامية الأندلسية آنذاك مكانةً عظيمة بين أقطار العالم. وفرضت وجودها السياسي والحضاري على أمم الشرق والغرب و وتنوعت طبيعة علاقاتها حسب الظروف المتحكمة في السلم و الحرب.

1/علاقة الأندلس بدولة الفرنجة

-لمحة تاريخية عن الفرنجة

كانت دولة الفرنجة من أهم الدويلات الجرمانية التي قامت في بلاد الغال Gaul على أنقاض الإمبراطورية الرومانية التي سقطت سنة 467م. و اختلف العلماء حول عصر ظهور الفرنجة ولكن مجموعة من العلماء استقروا على أن تاريخ الفرنجة يعود إلى النصف الأول من القرن الثالث الميلادي؛ كانت عبارة عن مجموعات صغيرة من الأشخاص أطلقوا على أنفسهم اسم الفرنجة تعود أصولهم للقبائل التالية " الساليون ، السيكامبريون ، الشاماويون ، البروكتريون ، الكاتيون ، الكاتاريون " ¹

و ظهر الفرنجة في صورة اكبر حينما فرضوا سيطرتهم على مناطق كثيرة وتوسعوا بها مثل في منطقة نهر شلت .. ومن حينها شن الفرنجة غارات على العديد

¹ عبد الفتاح سعيد عاشور، أوروبا العصور الوسطى 1، التاريخ السياسي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1975، ص 80.

من المناطق القريبة بكل عنف و قذفوا الرعب في قلوب المواطنين جراء السلب والنهب لممتلكاتهم...لم يكتفوا عن نهب الأراضي المجاورة لهم بل واصلوا إغارتهم على الشواطئ.

في منتصف القرن 2هـ / 8م بينما كانت سلطة شارلمان آخذة في الازدياد في الغرب وشهرته في الأفاق قابلتها هيمنة عبد الرحمان بن معاوية (الداخل) على الأندلس وتعدت شهرته الأفاق. فتجاورت الدولتان دولة الفرنجة الكالورانية والدولة الأموية بالأندلس على جانبي جبال البيريني (البرانس). كانت تمثل كل منهما زعامة سياسية وعسكرية ودينية ومكانة تُدمل كل واحدة منهما مسؤوليتها تجاه رعيتهما وأمتها وقيمها الدينية والروحية لذا كان حتماً من حدوث احتكاك بينهما سواءً كان احتكاك بأسلوب الصراع و النزال او سلمياً في إطار الاحتكاك السلمي الدبلوماسي وفي الإطار الحضاري الفكري و الاقتصادي¹.

ترجع جذور العلاقات بين الطرفين إلى مرحلة الفتح الإسلامي إلا أننا نختصر على أهم المحطات التي ميزت طبيعة العلاقات من حيث الأسباب و النتائج وفي مقدمتها نذكر:

وقعة تور-بواتيه أو بلاط الشهداء سنة (114هـ/732م) بين الفرنجة بقيادة شارل مارتل والمسلمين بقيادة عبد الرحمان الغافقي التي اهزم فيها المسلمون أثر في ارتداد المسلمين إلى ما وراء جبال البرنيه (البرانس) وضعف النفوذ الإسلامي إلى حد كبير والتواجد الإسلامي في جنوب فرنسا.²

محمد¹ د محمد² مرسى الشيخ، دولة الفرنجة و علاقتها بالأمويين بالأندلس حتى أواخر القرن العاشر الميلادي، الإسكندرية مؤسسة الثقافة الجامعية، 1981، ص14، 13؛ وفاء مختار غزالي، السياسة الخارجية لدولة الفرنجة في العصور الوسطى، القاهرة، دار الأفاق العربية، 2012، ص48

² وفاء مختار غزالي، نفس المرجع، ص67، 68،

عاد المسلمون مرات إلى الغزو في جنوب فرنسا، واجتياح المناطق الواقعة على الناحية الأخرى من جبال البرنيه (البرتات)، إلا أن هذه العودة كانت مؤقتة وكان أثرها باهتا في إمكان تثبيت أقدام المسلمين في تلك الجهات ومتابعة نشاطهم فيها.

كان من نتائج واقعة بواتيه أن تبنت دولة الفرنجة على عهد حاكمها "بيبن القصير" سياسة جديدة ترمي إلى تعضيد روح الثورة والفتنة في الأندلس المسلمة ذاتها، تمهيدا للانقضاض عليها لطرد المسلمين منها، بعد أن انهارت سيادتهم في جنوب فرنسا، وأصبح في الإمكان إحداث ذلك أيضا في دولة الأندلس المسلمة

كان المسيحيون في سبتمانيا قد وثبوا تحت قيادة قوطي يسمى انسمندس Ancemundus وبمساعدة الجيش الفرنجي على المسلمين في سبتمانيا فطردوهم من أهم مدنها سنة 752م أي في السنوات القليلة قبل وصول عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس، واستعاد الفرنجة مدنا وفرضوا الحصار أيضا على أربونة، وصمدت المدينة لحصانتها، ونجح المسلمون خلال الحصار في قتل القائد القوطي، و لكن طال حصار المدينة نظرا لانشغال بيبين القصير في إخماد بعض الثورات في بلاده.¹

2/علاقات الأمويين بالفرنجة

أولا: العلاقات السياسية بين مملكة الفرنجة ومسلمي الأندلس²
على عهدي شارلمان ولويس النقي انتهج ملوك الفرنجة سياسة اتسمت بطابع العداء الشديد ضد المسلمين في الأندلس وتابع شارلمان سياسة آباءه العدائية بهدف إخراج

طقوش محمد د سهيل. تاريخ المسلمين في الاندلس . بيروت، : دار النفائس، (2008 م /

1429هـ ، ص ص117،115

² أنظر الخريطة السياسية رقم 02، ص 95.

المسلمين من الأندلس وأعادتها إلى حظيرة المسيحية من جديد من أجل تأمين حدوده الجنوبية من ناحية ولوقف تقدم المسلمين نحو الشمال من ناحية أخرى وتتبعهم في محاولة للقضاء عليهم، بالإضافة إلى تحقيق مشروعه في إحياء الإمبراطورية الرومانية الذي طالما سعى إلى تحقيقه

ومن أجل تحقيق هذا الهدف قام الفرنجة بمراقبة الأحداث في الدولة الأموية وتحتين الفرص الناتجة عن الثورات ضد حكام قرطبة والعمل على استغلالها من أجل تحقيق أطاعهم الخاصة.²

وكان شارلمان والملك "بيين" القصير من قبله يحاولان التحالف مع مسيحي أسبانيا ليوحدا حركتهم معهم وحانت الفرصة على يد مسلمي أسبانيا أنفسهم عندما اندلعت الثورة في شمال الأندلس³، ضد الأمير عبد الرحمن الداخل⁴. في عام 157هـ / 774م بقيادة سليمان بن يقظان الأعرابي الكلابي ومعه أبو ثور والي وشقه (Heusca

¹ الحميري عبد المنعم الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس. بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة، 1980م ، ص110

² طقوش ، المرجع السابق، ص117، 118؛ وفاء مختار، المرجع السابق، ص252

³ عبد الفتاح مقلد الغنيمي، كيف ضاع الإسلام من الأندلس، القاهرة، 1413هـ / 1994م/ص162؛، شكيب أرسلان، الحل السندسية في الأخبار و الآثار الأندلسية، جزءان، ط1، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، 1358هـ/1939م.

⁴ عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك، وقد تمكن من الهروب بعد نجاته من المذبحة التي أقامها العباسيون ضد الأمويين في موقعة الزاب 132هـ/750م واستطاع أن يكون له أنصارا ويؤسس الإمارة الأموية في قرطبة في الأندلس، ولذلك اشتهر بلقب الداخل لأنه أول من دخل الأندلس من الأمويين اتخذ عبد الرحمن لقب "الأمير" وجعل الإمارة وراثيا في أبنائه من بعده، واجهته صعوبات كبيرة و كثيرة أثناء تأسيس ملكه وعمل العباسيون على مطاردته والتصدي له، إلا أنه كان يسحق مناوئيه و خصومه بكل شجاعة حتى أطلق عليه الخليفة العباسي المنصور لقب صقر قریش .

وكذلك النصاري والي سرقسطة (Saragossa)،¹ وتحالفوا على قتاله وخلعه منتهزين فرصة انشغاله بقمع الثورات التي اندلعت في الأندلس خاصة في الجنوب وانضم إليهم عبدالرحمن بن حبيب المعروف بالصقلبي والذي ثار بتدمير² الأقاليم الواقعة في شمال أسبانيا في الجزء الأعلى من البرنبييه تجنح دائما للاستقلال ويعمل حكامها على شق عصا الطاعة على حاكم قرطبة مستغلين فرصة بعد المسافة بينهما فيقومون بالتجاهل المطلق لسلطة حاكم قرطبة وعملوا على الاتصال بملوك الفرنجة في مقاومة الخضوع لحكومة قرطبة.

التآمر ضد قرطبة

كانت الخطة المتفق عليها بين الأطراف المتآمرة ضد عبد الرحمان الداخل: أن يقود شارلمان جيشه وينحدر إلى شمال أسبانيا عبر جبال البرنبييه أو البرانس أو البرت Pyrenees³ متوجها إلى مدينة سرقسطة التي تعهد سليمان بن يقطان بتسليمها لشارلمان لتكون هي القاعدة التي تنطلق منها القوات الفرنجية للانقضاض على عبد

¹ وكانت سرقسطة ذات موقع استراتيجي مهم لوقوعها وسط الأراضي المياه و قربها من الأقاليم التي يقطنها البشكنس وكذلك لقربها من الاستحكامات الفرنجية الحميري، المصدر السابق، ص 42، 194؛ ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 180

² هي من كور الأندلس سميت باسم ملكها تدمير وقاعدتها مرسية. انظر الحميري، المصدر السابق، ص 62، 181

³ هي الحد الفاصل بين أوروبا وأفريقية، وهي عبارة عن سلسلة من الجبال تمتد على مسافة 40 خليج بسكاي في الغرب إلى البحر المتوسط في الشرق ويبلغ ارتفاع أعلى قممها 3404 كم، وتقع سفوحه الشمالية في فرنسا بينما سفوحها الجنوبية في أسبانيا أي أنها تفصل شبه الجزيرة الأيبيرية عن فرنسا. (أبو عبد اللزكري كتاب الجعرافيا، تحقيق محمد حاج صادق، الظاهر، مكتبة الثقافة الدينية، (د ت) ص 128، 129 انظر الحميري المصدر السابق، ص؛ أرسلان، الحلل السندسية، ج 2، ص 24.

الرحمن الداخل، و في نفس الوقت يقوم عبد الرحمن بن حبيب الفهري بالانحدار من المغرب بجيش كبير وأسطول بحري على الساحل الشرقي للأندلس من مدينة تدمير.¹ وليبدأ الهجوم في هذه الجهات² وبذلك يتم تطويق عبد الرحمن الأول و القضاء عليه.

و ربط بعض المؤرخين بين هذه المؤامرة وبين الخلافة العباسية والتي جعلوها طرفا في هذه المؤامرة مما يجعلها على نطاق أوسع من الثورة على عبد الرحمن وتدخل في نطاق التورط والتحالف مع عدو الدين من أجل استعادة الأندلس لحوزتها بعد القضاء على حاكمها ومن ثم يتم إعلان تبعيتها لصاحبها الشرعي وهو الخليفة العباسي³، واستندت تلك الادعاءات على علاقات المودة التي كانت تربط بين ملوك الفرنجة وخلفاء بني العباس والتي تمخضت عن إرسال السفارات والهدايا بينها .

لكننا لا نرى صحة هذا الرأي لا تميز به الخلفاء العباسيون من التقوى والورع الذي يقف حائلا أمام الاستعانة بمسيحي أوروبا ضد بني دينهم وهم الذين قادوا الجيوش من أجل نصره الدين كما أنه ليس لدينا من المصادر العربية ما يؤكد هذا الاتفاق والتحالف⁴. وتبعا للخطة السابقة قام عبد الرحمن بن حبيب الفهري بالانزول بجيشه وأسطوله

¹ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 5، ط2، بيروت، دار الكتاب العربي، 1400هـ / 1980م

ص20؛ وفاء مختار غزالي، السياسة الخارجية لدولة الفرنجة، ص 257

² محمد مرسي الشيخ، دولة الفرنجة و علاقتها بالأمويين بالأندلس حتى أواخر القرن العاشر

الميلادي، الإسكندرية مؤسسة الثقافة الجامعية، 1980 ص142.

³ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ص229،

⁴ وفاء مختار، المرجع السابق، ص 256، السمرائي خليل ابراهيم و عبد الواحد ذنون و ناطق

صالح مطلوب، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، بيروت، دار الكتاب الجديد، ط1،

2000، ص128، 129

على ساحل تدمير (مرسیه) وهي الميناء الأندلسي في الجنوب، لكنه تعجل قبل وصوله للانقضاض على شارلمان، وحينئذ عمل عبد الرحمن الداخل على القضاء على أحد أطراف المؤامرة بالانحدار قبل أن ينضم إليه حلفائه فتقوى بهم شوكته ويصعب القضاء عليه، لذلك زحف إليه عبد الرحمن الداخل بجيشه ؛ وهنا طلب عبد الرحمن بن حبيب الفهري النجدة من حليفه سليمان بن يقظان لكنه رفض نجدته خوفا على نفسه من مواجهة قوات عبد الرحمن الداخل قبل أن يصل شارلمان بقواته وتحجج بأنه ملتزم بالخطة السابقة وأنه لن يترك ولايته قبل أن تصل قوات الفرنجة¹

وهنا قام جيش عبد الرحمن بالانقضاض على ابن حبيب الفهري وهزمه وتمكن من قتله: "وسار عبد الرحمن الأموي نحوه (الصقلبي) في العدد، واستندت تلك العدة وأحرق السفن تضيقا على الصقلبي في الهرب ... فبذل الأموي ألف دينار لمن أتاه برأسه فاغتاله رجل من البربر فقتله وحمل رأسه إلى عبدالرحمن فأعطاه ألف دينار وكان مقتله سنة اثنتين وستين ومائة (162هـ)"²

هجوم شارلمان على الممتلكات الأندلسية

كان شارلمان قد سار بقواته إلى جنوب فرنسا بعد فصل الشتاء وقضى عيد الفصح في أكيتانيا. وفي أوائل ربيع عامه/ 788م انحدر بقواته إلى أن وصل نهر الجارون وهناك قسم جيشه الذي جمعه من أنحاء مملكته المختلفة إلى قسمين³:
القسم الأول تحت قيادته الخاصة وتقرر أن يعبر هذا الجيش جبال البرنييه (البرانس) من الناحية الغربية عبر الطريق الروماني القديم فوق آكام (جان دي لابور Jean)

¹ابن عذاري. المراكشي البيان المغرب، تج. س. كولان و ليفي برزفانسال،. بيروت: دار الثقافة ، ج 2، 1983 ص 56، أنظر الخريطة رقم 02 ص 82.

²ابن الأثير عز الدين. الكامل في التاريخ . بيروت دار صادر ، ج 5، 1965 ص 60، طقوش، المرجع السابق، ص 157، 158

³وفاء غزالي، المرجع السابق، ص 257

de La port عن طريق هضابرونسفال المؤدية إلى باب الشريزي أو ما يعرف بممر شيزرأورونسفال (Roncesvalles)¹

أما القسم الثاني: فعهد به شارلمان إلى أحد قواده الأكفاء وتقرر أن يعبر هذا القسم جبال البرنبيه من الجهة الشرقية" وتم تعيين مكان الملتقى للجيش على ضفاف نهر الإبرو Epro أمام مدينة سرقسطة حيث يتم الاجتماع بحلفاء شارلمان المسلمين.² في تلك الأثناء وصلت الأخبار إلى شارلمان بمقتل عبد الرحمن بن حبيب الفهري وهزيمة جيشه على يد عبدالرحمن الداخل بعد تخلي ابن يقظان عن مساعدته وبالرغم من تلك الأخبار إلا أن شارلمان عمل على مواصلة تقدمه تجاه جبال البرنبيه وواصل القسم الثاني من جيشه شمال أسبانيا دون عقبات تذكر وذلك لأنه كان يسير في مناطق نفوذ للفرنجة منذ أيام"بيين" القصير حين تقلص نفوذ المسلمين عنها لذلك رحب به سكانها رغبة في عون الفرنجة وحمايتهم.

في حين أن جيش شارلمان الرئيسي المتقدم من الجهة الشمالية الغربية والمناطق الغربية الملاصقة لجبال البرنبيه عانى كثيرا من المشاق والمتابع لوعورة هذه المناطق الجبلية³ كما اصطدم بسكانها من البشكنس وهي عناصر مسيحية سكنت مناطق Naverre⁴ وبنبلونه Penpelona. وعرفت المنطقة باسم النافاريين حافظوا على استقلالهم مستفدين من الطبيعة الجبلية للمنطقة¹

¹ عبد الرحمن الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الى سقوط غرناطة، بيروت، دار القلم 1972، ص 224

² عنان محمد عبد الله ، دولة الإسلام في الأندلس، القاهرة، مكتبة الخانجي المؤسسة الوطنية للكتاب، (1417هـ / 1997م، ع 1، ق 2 ، ص 176 ، 177 ؛وفاء مختار ، المرجع السابق، ص 258

³ مرسي الشيخ ، المرجع السابق ، ص 144

⁴ يقع إقليم النافار في اسبانيا ويمتد من غربي جبال البرانس على طول الحدود الفرنسية من الشمال و إلى نهر الإبرو في الجنوب وتكونت مملكة النافار من الاراضي التي كان يسكنها الجاسكون في

وعرفت هزيمة جيشه على يد عبد الرحمن الداخل بعد تخلي حليفه حسين بن يحيى الأنصاري عن مساعدته الذي دخل سرقسطة وأغلق أبوابها وأبي أن يفتحها أو أن يسلمها لأعداء الإسلام. ولم يفلح سليمان بن يقظان في إقناعه بالعدول عن ذلك. وبالرغم من تلك الأخبار إلا أن شارلمان عمل على مواصلة تقدمه تجاه جبال البرينية

ولكن أحس أنه واقع في مأزق كبير فبادر بالقبض على حليفه سليمان بن يقظان خشية أن يكون قد اشترك في مؤامرة ضده، كما قام بحصار مدينة سرقسطة² وشدد هجماته عليها. لكن المدينة صمدت وظل شارلمان محاصراً لها فترة من الزمن ثم بعد أن يئس من الاستيلاء عليها بدأ ينسحب بقواته إلى الشمال الشرقي وذلك في شهر شوال عام 161هـ / 788م³

اجتمعت عدة أسباب جعلت شارلمان يتخذ موقف الانسحاب من أمام مدينة سرقسطة منها وعورة المنطقة وعدم معرفته الكاملة بمخابئها وصعوبة تموين جيشه في حالة استمرار الحصار أكثر من ذلك لبعد المسافة بينه وبين بلاده بالإضافة إلى أنه قد وصلته أخبار ثورة السكسون بقيادة زعيمهم فيدكند مما جعله يسرع في العودة إلى بلاده

شمال أسبانيا وامتدت إلى الجنوب الغربي من فرنسا ويقع القسم الأسباني منها في جنوب البرانس في حين يمتد القسم الشمالي إلى فرنسا، عنان المرجع السابق، ص 176
¹شبارو عصام محمد، الاندلس من الفتح العربي المرصود الى الفردوس المفقود. بيروت، دار النهضة العربية، 2002، ص 113

²عبد الرحمن الحجي، التاريخ الأندلسي، ص 224.

³وفاء غزالي، المرجع السابق، ص 260

سلك شارلمان في طريق عودته نفس الطريق الذي جاء منه مارا ببينبلونه، وهنا وجد البشكنس فرصتهم للانتقام من جيوش شارلمان والثأر للهزيمة التي لحقت بهم على يديه.¹

- سياسة الأمير عبد الرحمان الداخل وعلاقاته مع الفرنجة

إن أول عمل قام عبد الرحمان الداخل بعد استتباب الأمر له عام (140هـ/758م)، أن حاول فك حصار أربونة، فأرسل فرقة من جيشه لذلك ولكنها فشلت في إخراج المدينة من محنتها، وقضى مسيحيو جبال البرنيه على هذه الفرقة، وأعقب ذلك تأمر المسحيين من أهل المدينة مع "بيبن القصير" لتمكينه من دخول المدينة وتمت المؤامرة ودخل الفرنجة مدينة أربونة²، بعد أن أجهز المسيحيون على الحامية الإسلامية في سنة 759م وفقد المسلمون هذه المدينة بعد أن خضعت للحكم الإسلامي نحو أربعين عاما، وأنعش هذا الفتح مملكة الفرنجة على عهد "بيبن القصير" واعتبرت جبال البرنيه الحدود الطبيعية لبلادها.

- سياسة شرلمان تجاه الأمويين في الأندلس

تابع شرلمان ملك الفرنجة -الذي عاصر عهود ثلاثة من الأمراء الأمويين في الأندلس و هم: عبد الرحمان الداخل وابنه هشام وحفيده الحكم الربيضي- سياسة والده "بيبن القصير" من سياسته الرامية إلى تأييد الثوار في الأندلس المسلمة وتأييد روح

طُقوش محمد د سهيل. (2008 م / 1429 هـ). تاريخ المسلمين في الاندلس . بيروت، : دار

النفايس ؛ص164، 165غزالي، نفس المرجع ، ص 264

²أربونة تقع في طرف الثغر الأعلى شمال شرقي الاندلس، وتشكل حاجزا بين فرنسا واسبانيا وهي

آخر ما فتح المسلمون في بلاد الإفرنج، كحيلة ، ص 63

الثورة والفتنة ضد حكامها وولاتها، تحقيقاً لنفس الهدف وهو محاولة طرد المسلمين منها، وإعادتها إلى حظيرة المسيحية من جديد إن أمكن ذلك.

عني شارلمان بتنفيذ هذه السياسة عناية تامة على الرغم مما كان يشغله هناك في القارة الأوروبية من مشاريع سياسية وعسكرية وحروب طاحنة بينه وبين اللبارديين في إيطاليا والسكسون في بعض جهات ألمانيا والبافاربيين على الحدود الشرقية للمملكة الفرنجية ولهذا كان يرقب الأحداث في إسبانيا متحفزاً متحيناً الفرصة المواتية لتجسيد هذه السياسة على أرض الواقع.¹

أُتيحت له الفرصة على عهد عبد الرحمن الداخل حين اندلعت ثورة في شمال الأندلس ضد الأمير عبد الرحمن سنة (157هـ/774م) بقيادة سليمان بن يقظان الكلبى أو الأعرابي والى برشلونة وجيرونة (جبرندة)، ومعه أبو ثور صاحب وشقة، الذي كان على خلاف مع عبد الرحمن لميل هذا إلى المضربة، ومعاداته لليمنية التي ينتمي إليها هذا الوالى الأعرابي، وكذلك الحسين بن يحيى الانصاري والى سرقسطة، الذين تحالفوا على قتال الأمير عبد الرحمن منتهزين فرصة انشغاله بمحاولة قمع الثورات التي اندلعت في أنحاء مختلفة من الأندلس لا سيما في الجنوب، معتمدين على طبيعة الجهات الشمالية ووعورتها وما يكتنفها من جبال في الاستمرار في الثورة لتحقيق أهدافهم، وانضم إليهم قائد يدعى عبد الرحمن بن حبيب الفهرى المعروف

وفاء مختار غزالي : السياسة الخارجية لدولة الفرنجة ص 254 ، 255، السمراي خليل

ابراهيم و عبد الواحد ذنون و ناطق صالح مطلوب ، تاريخ العرب وحضارتهم في

¹الأندلس،بيروت ، دار الكتاب الجديد،ط 1، 2000ص 29

بالصقلي، الذي أرسله الخليفة العباسي المهدي إلى الأندلس لمحاولة استعادتها من عبد الرحمن الداخل¹

على الرغم من انشغال عبد الرحمن حينئذ في محاربة بعض الثوار إلا أنه جهز جيشا وأرسله إلى الشمال لمقاتلة الثوار تحت قيادة أحد أكبر أعوانه ويدعى ثعلبة بن عبيد الجذامي، إلا أن سليمان بن يقظان نجح في إلحاق الهزيمة بهذا الجيش بل أسر قائده وبدد شمل قواته سنة (158هـ/775م)، وزاد هذا النصر من حماسة الثوار في الشمال وأذكى روح العناد في نفوسهم وأطمعهم في الاستمرار في مناوأة حكومة قرطبة.²

لم يقف سليمان بن يقظان وحليفه الحسين بن يحيى والى سرقسطة عند هذا النصر المؤقت، لذا فكرا في الاعتماد على قوة خارجية تسند الثورة في الشمال، وتساعد على تحقيق أهدافها فطلبوا العون من عامل الفرنجة شارلمان، وتشير الروايات إلى أن سليمان بن يقظان خرج بنفسه ومعه نفر من أعوانه وأصحابه للقاء شارلمان في ربيع سنة (160هـ/777م)، وكان شارلمان حينئذ في ساكس - في مدينة بادربورن في شمال غرب ألمانيا - بعد أن أنزل بالسكسون أشد أنواع التنكيل وأجبرهم على اعتناق المسيحية.³

¹ ابن القوطية. ابو بكر، تاريخ افتتاح الاندلس، تحقيق اسماعل العربي. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989، ص71

² طقوش، المرجع السابق، ص161

³ وفاء مختار غزالي، السياسة الخارجية لدولة الفرنجة في العصور الوسطى، ص254،

وفي زهوة الانتصار تقدم سليمان إلى شارلمان عارضا عليه المحالفة على قتال عبد الرحمن الداخل مقترحا عليه غزو المناطق الشمالية في الأندلس، متعهدا بمعاونته هو وحلفائه وتسليمه ما في حوزتهم من مدن لا سيما سرقسطة (عاصمة الثغر الأعلى)، وتسليمه كذلك أسيره ثعلبة بن عبيد ليكون ورقة رابحة يمكن مساومة عبد الرحمن الداخل عليها.¹

وغذت الكنيسة هذا الاتجاه وأدكت روح القتال ضد من أسمتهم الكفرة في الجنوب (المسلون)، فإذا كان الفرنجة قد نجحوا في طرد المسلمين من جنوب فرنسا إلى ما وراء جبال البرنيه، فلا مانع من تتبعهم فيما وراء البرنيه للقضاء على ريحهم وإعادة الصليب إلى ربوع إسبانيا أو على الأقل جزئها الشمالي حماية للدولة المسحية في فرنسا من ناحية، ومحاولة بعث الإمبراطورية الرومانية القديمة من ناحية أخرى.

يبدو أن سليمان وحلفاؤه اعتقدوا أنهم في ظل حماية الفرنجة يمكن أن يدعموا انفصالهم بالمناطق الشمالية ويكرسوا استقلالهم غير واعين لعناصر هذه المؤامرة الكبيرة، ولهذا فقد بادر سليمان بتسليم الرهائن منهم أسيره ثعلبة بن عبيد قائد الأمير عبد الرحمن إلى شارلمان عنوانا للثقة والتحالف، وتنفيذا لما سبق الاتفاق عليه، فسارع شارلمان بسجن ثعلبة في إحدى القلاع الفرنسية قبل تحركه تجاه الجنوب.²

- نص الاتفاق بين الثوار وشارلمان :

¹ محمد مرسي، دولة الفرنجة ص 139 .

² ابن الأثير، المصدر السابق، ج 5 ص 64 محمد د مرسي الشيخ، المرجع السابق، ص 149،

- أن ينحدر شارلمان بجيوشه إلى شمال الدولة الأموية عابرا جبال البرنيه، متجه إلى مدينة سرقسطة فيسلمها له سليمان بن يقظان الأعرابي لتكون قاعدة لانطلاق الجيوش الفرنجية لتدمير جيش الأمير عبد الرحمن،

- وفي نفس الوقت ينزل عبد الرحمن بن حبيب الفهري من المغرب في أسطول بحري، وجيش كبير من البربر على الساحل الشرقي للأندلس في مدينة تدمير (مرسية)، حيث يبدأ هجومه في هذه الجهات وبهذا يجري تطويق الأمير عبد الرحمن للقضاء عليه ثم إعلان تبعية الأندلس لصاحبها الشرعي الخليفة العباسي،¹

ويبدو أن عبد الرحمن بن حبيب الفهري كان أكثر المتآمرين تحرقا للقضاء على عبد الرحمن الداخل وسارع في تنفيذ الشق الخاص به في المؤامرة، فبادر بالنزول بجيشه وأسطوله على ساحل تدمير (مرسية) وذلك قبل وصول شارلمان، فوجد عبد الرحمن الداخل الفرصة مواتية للقضاء على أحد عناصر المؤامرة قبل أن تستكمل حلقاتها ويهوي إليه حلفاؤه، ويجتمع الأعداء على حربه. وكانت هذه إحدى مزايا عبد الرحمان الداخل في أخذ أعدائه فرادى²

- تطور العلاقات بين عبد الرحمان الداخل و الفرنجة

لما دخل عبد الرحمن الداخل سرقسطة واستولى عليها 164هـ/780م وعمل على توطيد حكمه في الشمال حتى لا يستغل الفرنجة فرصة الثورات ويعاودوا محاولة غزو الأندلس المسلمة، وبالنسبة لسليمان الأعرابي فقد لقي مصرعه على يد

¹ محمد د مرسي الشيخ، المرجع السابق، ص142

² شبارو عصام محمد، الأندلس من الفتح العربي المرصود الى الفردوس المفقود. بيروت، : دار النهضة العربية، . 2002، ص110، وفاء مختار غزالي، السياسة الخارجية لدولة الفرنجة في العصور الوسطى، ص257

الحسين بن يحيى الأنصاري وبادر الحسين بإعلان خضوعه لعبد الرحمن الداخل، لكن ما لبث أن عاد فخرج عليه فأنتهى الأمر بقتله¹.

وهكذا اجتمعت الأسباب والظروف التي جعلت الأندلس تغلت مؤقتا من قبضة ملك الفرنجة بفشل حملته عام 778م ذلك الفشل الذي بدد حلمه في إزالة السيادة الإسلامية عن أسبانيا وتشير الروايات إلى تحسن العلاقات بين شارلمان وعبد الرحمن الداخل و حلول روح المودة بينها والسلام تلك العلاقات التي تطورت على حد ذكر المصادر الإسلامية إلى رغبة في المصاهرة بينها، فيقول المقرئ: "وخاطب عبد الرحمن قارله ملك الإفرنج وكان من طغاة الإفرنج، بعد أن تمرس به مدة فأصابه صلب المكسر، تام الرجولة، فمال معه إلى المدارات ودعاه إلى المصاهرة والسلم، فأجابه للسلم ولم تتم المصاهرة"².

ولعل أهم النتائج التي ترتبت على حملة شارلمان الفاشلة ضد مسلمي الأندلس أنها بددت حلمه الواهي في إزالة السيادة الإسلامية العربية عن الأندلس وتكوين إمبراطورية على النسق التنظيمات العسكرية في أكيثانيا.

- علاقات الأمير عبد الرحمن بن الحكم-الأوسط-مع الفرنجة

استمرت العلاقات مع أمراء بني أمية منهم الأمير هشام الرضا و الحـ كـم.

وأشهر الحكام بعد عبد الرحمان الداخل، هو عبد الرحمان بن الحكم والملقب "بالأوسط"، الذي أخدم الثورات التي قامت ضده في "ماردة" و"طليطلة" مرة

¹ مجهول أخبار مجموعة، ص 107، ابن عذارى، البيان، ج 2، ص 56.

² المقرئ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج 1، تح إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1433هـ/2012م، ص 330، 331.

أخرى، وحبیب البرنسی بالجزیرة الخضراء، وحتى نصاری الداخل (المستعربین) ثاروا بطریقتهم الخاصة حیث كانوا یرجون أمام الناس یسبوا الله والرسل محمد صلی الله علیه وسلم، بقیادة" أولوخیو "و" برفکتو "و"فلورا Eulogio, Perfecto, Flora - " وغيرهم، منذ سنة 235 هـ / 850 م،¹

واستمرت هذه الحركة التي عرفت بحركة الاستشهاد إلى عهد الأمير محمد بن عبد الرحمان الذي طبق على زعیمها حکم القضاء فقتل سنة 245 هـ / 859م²

أما خارجياً فقد أرسل عبد الرحمان بالأوسط عدة حملات عسكرية ضد إمارات المسيحية في الشمال ضد ممالك النصرانية قشتالة، وأسترقة، وليون وجلیقية و برشلونة وتميزت العلاقات بالتوتر بین الطرفين³

¹ Albornoz Claudio Sanchez :L'Espagne musulmane ,trad :Claude Faraggi,opu/publisud, 1985 ,134,135.

²دوزي رينهت. المسلمون في الأندلس، ترجمة حسن حبشي. القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب ، 1994، ج.1. ص.109، 111؛ طقوش ، المرجع السابق ص 210، 214

³طقوش ،نفس المرجع ، ص 265، 268

المحاضرة / 2 الغزو النورماني للأندلس

- التعريف بالنورمان-الفيكنج-

وهم الفيكنج Vikings أو الشماليون Northmen هم مجموعة الشعوب التي سكنت شبه ورة اسكندنافية Scandinavia (اسكندنافيا) وحوض بحر البلطيق Baltic أو الدانماركيون Danes والنرويجيون Narwegians والسويديون Swedes) (ولفظ الفيكنج يعني سكان الفيوردات أو الخلجان وهي الظاهرة الطبيعية متاز بكثرتها شواطئ الجهات الشمالية الغربية من أوروبا، ويرجع أصلهم إلى العنصر دمانى أو التيوتوني المعروف إلا أنهم يختلفون عنهم في تطورهم التاريخي استمرت هذه الشعوب تعيش في عزلة عن العالم حتى القرن التاسع الميلادي ثم بدءوا بشن الغارات على أوروبا التي تحولت إلى حملات منظمة من أجل الاستقرار و هم يعيشون على السهول الساحلية وهي في معظم الأحيان أشرطة ضيقة من الأرض فقاموا ببناء السفن المكشوفة التي امتازت بطولها وصغر عرضها وتسير بالمجداف أو الشراع وجابوا بها شواطئ أوروبا.¹

وعرفت فترة حكم عبد الرحمان الأوسط ظهور خطر النورمان (Normands) سكان الشمال أو "الفايكنغ وهم "سكان الدول الإسكندنافية، وتسميهم المصادر العربية-المجوس الأردمانيين- ،الذين هاجموا الأندلس سنة 229 هـ / 843 من الجنوب الغربي عبر أشبونة وإشبيلية، لكنهم انهزموا وعادوا أدرأجهم.²

¹عاشور عبد الفتاح سعيد، أوروبا العصور الوسطى ج1، التاريخ السياسي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1975، ص206.

²العريني، الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، بيروت، 1982، ص 350

الأمر الذي أدى بعبد الرحمان الأوسط بإنشاء دار الصناعة السفن بإشبيلية.في

سنة(245هـ / 859م)¹

كان خروج الفايكينغ على سواحل الأندلس وغاراتهم بعد ذلك على بنبلونة حيث أسروا

غرسيه بن ونقه.² و تعرض غرب الأندلس في أيام الحكم المستنصر إلى ثلاث

هجمات من النورمان، سنة 354 هـ / 965 م وسنة 360 هـ / 971 م، لكن

الأسطول الأندلسي تمكن من صدها جميعا عملت الدولة الأموية على بناء الثغور

البحرية وإقامة النظام الدفاعي على الشواطئ الأندلسية لتصد لغارات جديدة من

النورمان³

¹ Provençal E.Levi: Histoire de l' Espagne Musulmane ,t1 , Paris, maisonneuve &Larose,1999 ,p106

² ابن عذاري، البيان، ج2،ص97 ؛ الأثير،الكامل في التاريخ، ج6، ص93

³ محمد مرسي الشيخ المرجع السابق ، 24، 25؛ طقوش، المرجع السابق، 227،226

المحاضرة 3/ علاقة الأندلس بالإمبراطورية الرومانية:

ومن نماذج العلاقات بين بلاد الأندلس والإمبراطورية الرومانية ، نشير إلى العلاقات المثيرة التي شاهدها قرطبة، أثناء خلافة عبد الرحمن الناصر ، ذلك التبادل السياسي بينها وبين فرانكفورت عاصمة الإمبراطورية الرومانية المقدسة، التي كان يرأسها آنذاك أوتو الأول الملقب بالعظيم (324 - 326 هـ / 936 م).¹ والذي يعد من أقوى الشخصيات الأوروبية في ذلك الوقت و يعد زعيم النصرانية، و يرجح تاريخ سفارة أوتو كانت في عام (344 هـ / 955 م)¹ والمعروف أن عهد أوتو الأول شهد نهضة فكرية كبرى، وأن الإحياء الديني في ذلك العصر، جاء مصحوبا بإحياء ثقافي حتى غدا القصر الملكي في فرانكفورت مركزا للنشاط الفكري. وقد تزعم تلك النهضة التي تعرف باسم النهضة الأوتية أو السكسونية، برونو، الأخ الأصغر لأوتو، وكان من رجال الدين، كما ظهر عدد كبير من الأدباء الذين كتبوا في الشعر والنثر باللغة اللاتينية، وقد أسهم الملك أوتو نفسه في تلك النهضة على الرغم من مشاغله الكثيرة.²

- فهل كان التقدم الفكري والثقافي عامل تقارب بين قرطبة وفرانكفورت؟
الواقع أن المصادر لا تشير إلى ذلك على الرغم من احتمال الرغبة لدى أوتو للاطلاع على المظاهر الحضارة الأندلسية.³

و يبدو أن عدة اتصالات قد مهدت لسفارة أوتو، كان قد بدأها هذا الملك، متخذة

¹ عنان عبد الله، دولة الإسلام ، العصر 1، القسم 2، ص456

² عنان، نفس المرجع، ص457

³ أنظر الخريطة الأندلس في أوج توسعها عصر الخلافة الأموية رقم 03 ص 97

طابع الاحتجاج على نشاط البحرية الأندلسية المنطلقة من بروفانس ضد شواطئ بلاده في جنوبي فرنسا وشمالي إيطاليا وصولاً إلى سويسرا¹.

وكرر على هذا الاحتجاج أرسل عبد الرحمن الناصر في عام (339 هـ/ 950 م) سفيراً إلى "أوتوهو" راهب مستعرب، وحمّ له رسالة تتطوي على كثير من الغطرسة، وقد توفي في الطريق، فأوصلها مرافقه إلى البلاط الملكي في فرانكفورت، فكان لها الأثر السيئ في نفس الملك، فرد عليها برسالة حملها يوحنا الجورزيني، وهو رجل دين من دير جورز القريب من متز.²

¹ المقري: المصدر السابق، ج 1 ص 366، 367.

² عنان المرجع السابق، العصر 1، القسم 2، ص 458

المحاضرة 4 / علاقة الغرب الإسلامي بالنورمان والدولة البيزنطية.

كانت الإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور قسطنطين السابع (332-348 هـ/ 944-959م) في وضع القوة في ظل الأسرة المقدونية، وليست بحاجة إلى الدخول في تحالفات مع أطراف خارجية، ومع ذلك فقد اتسم عهد الإمبراطور المذكور بالمحافظة على استمرار العلاقات السياسية الجيدة مع الدول الأجنبية، ومنها الدولة الأموية في الأندلس والراجح أن ما اشتهر به هذا الإمبراطور من نشاط ثقافي، وما أسهم به في التقدم الفكري البيزنطي، وما أصدره من مؤلفات عديدة، وما أقدم عليه من تشجيع الآخرين على التأليف، كل ذلك كان عملاً رئيساً في التقارب مع قرطبة التي كانت تمر آنذاك في أوج ازدهارها الفكري،¹

وعليه كان بين قرطبة والقسطنطينية انسجام فرضته تطورات الأحداث والظروف المشابهة في عهد كل من عبد الرحمن الناصر وقسطنطين السابع، وأن اتصالات الثاني بالأول تمت في هذا الإطار الثقافي، و لا تشير روايات المصادر إلى أبعاد سياسية وراءها أو إقامة علاقة لا تختلف في المضمون والاتجاه عن العلاقات السياسية التي تقوم بين الدول بدافع تبادل التعاون في المجالات الاقتصادية والثقافية والفنية، بدليل أن الإمبراطور البيزنطي أهدى العاهل الأموي مخطوطين عظيمين، أحدهما في علم النبات لديسقوريوس، باللغة اليونانية، والآخر في السيرة وأخبار الملوك القدماء لباولو أورسيو، المؤرخ الإسباني اللاتيني الذي عاش في القرن الخامس الميلادي.²

¹ عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس، العصر 1، القسم 2، ص 353

² سهيل طقوش ، المرجع السابق، ص 340

يتحدث المؤرخون المسلمون في مجال استئناف العلاقة السياسية بين قرطبة و القسطنطينية عن سفارتين. ففي عام (336 هـ / 946-وفدت على قرطبة سفارة بيزنطية أرسلها قسطنطين السابع تحمل طائفة من الهدايا النفيسة، ويقدمون إلينا تفاصيل شيقة عنها تُلقي ضوءاً على نظم الرسوم السياسية في ذلك العصر. ولما عادت السفارة إلى القسطنطينية، أرسل عبد الرحمن الناصر¹ معها سفيراً هو المستعرب هشام بن هذيل مع هدية قيمة، ليؤكد على المودة، ويوثق عرى التقارب بين قرطبة والقسطنطينية، فعاد بعد عامين مع سفارة بيزنطية ثانية، وهي التي حملت المخطوطتين اللذين أشرنا إليهما. وتقيض الرواية الإسلامية في تفاصيل هذه السفارة إفاضة واضحة.²

¹ أنظر الملحق رقم 03، ص 97.

² Albornoz ClaudioSanchez :L'Espagne musulmane p257 ,258

سهيل طقوش ، ، السابق ، ص341

المحاضرة 5: العلاقة مع الممالك النصرانية

الإطار التاريخي و الجغرافي للممالك النصرانية

1مملكة (جليقية وأشتريس - Calicia, Asturias) ، ليون :

استطاع المسلمون بعد فتح شبه الجزيرة الأيبيرية سنة (92هـ/710م) أن يسيطروا تقريبا على جميع أجزاء الجزيرة، باستثناء بعض المناطق في الشمال الغربي للأندلس مثل منطقة جليقية نظرا لوعورة المنطقة وطبيعة تضاريسها الجبلية،¹ فكان عدم استكمال فتح شبه الجزيرة و اضطراب الأندلس إداريا بسبب عدم الاتفاق على أمير واحد من أهم عوامل قيام مملكة اشتوريس وفشل المسلمين في علاقاتهم مع النصارى.² لم يكن على الفرق المسيحية الفارة من جيش الفاتحين سوى التحصن في منطقة اشتوريس Asturias المنيعة، بعد الهزائم التي تعرضوا لها من قبل طرف المسلمين، ومقتل ملكهم لذريق سنة (92هـ/710م)³ وقد استغل بعض من رجال الدين والنبلاء الفارين من أتباع لذريق فرصة تواجدهم في منطقة اشتوريس المنيعة للقيام بالاستعدادات اللازمة للوقوف ضد المسلمين من جديد.

و يمكن اعتبار سنة (98هـ/718م) هي بداية ظهور أحد علوج النصارى يسمى عند العرب بلاي وقيام مملكة أشتوريس، بحيث ورد في الروايات التاريخية أن بلاي قد وقع في أسر المسلمين وسجن في قرطبة، لكنه تمكن من الفرار في زمن الوالي

¹ مجهول. ، كتاب اخبار مجموعة في فتح الاندلس ، تحقيق اسماعيل العربي. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989 ،ص109

² المقري، المصدر السابق، مج1، ص147

³ مؤنس حسين. بلاي وميلاد اشتوريس وقيام حركة المقاومة النصرانية في شمال اسبانيا . مجلة كلية الآداب 1949م، مج11، ع1 ، القاهرة ، ص62، 63

الحر بن عبد الرحمان الثقفي سنة (98هـ/718م)¹، وعند فراره اتجه إلى منطقة اشتوريس ، تحصن في مكان يعرف بصخرة بلاي²،

وقد استطاع كسب ود أهل هذه المنطقة وألتف حوله العديد من القوطيين والأيبيريين والرومان وقد قام بتحريضهم على المسلمين وزرع فيهم بذور الحقد على المسلمين كما استغل بلاي انشغال المسلمين بالجهاد على بلاد الفرنجة، واضطراب الأوضاع الأندلسية بعد استشهاد الوالي السمح بن مالك الخولاني، وجمع العديد من نصارى منطقة كنتبريا وسهول جليقية واختاروه ملكا عليهم.

بدأ نشاط بلاي وأتباعه بشن هجمات على المسلمين سنة (98هـ/718م)، وفي المقابل كانت هناك محاولات من طرف الولاة للقضاء على هذه التجمعات النصرانية ، لكن هذه المحاولة جاءت في وقت متأخر لأن النصرانيين قد بلغو من القوة ما يكفي لمواصلة مقاومتهم ضد المسلمين، وفي عهد الوالي الحر بن عبد الرحمان الثقفي 98-100هـ/718-720م سيرت حملة لإخضاع هذه الشراذم واجتاحت بلاد البشكنس³

¹ ابن حبيب عبد الملك ، كتاب التاريخ. ، بيروت -لبنان: ط1، دار الكتب العلمية، 1999م ، ص124،125

² بلاي Playo (ت133هـ/750م): اختلفت المصادر حول أصل هذه الشخصية، فمنهم من يقول انه من أصل قوطي، وابن دوق كنتبرية فافيللا، وأمن سلالة الأيبيريين الرومان الذين حكمهم القوط حتى الفتح الاسلامي، وقيل انه كان احد قادة جيش لذريق وأنه هرب إلى اشتوريس بعد مجيء الفاتحين، ولجأ إلى مكان يعرف بصخرة بلاي. ابن حبيب، نفس المصدر، ص124، مؤنس حسين، المرجع السابق، ص62، 63.

³ بلاد البشكنس: تضم مجموعة الأقاليم الممتدة من جرب جبال البرتات حتى شرق

اشتوريس بمحاذاة شاطئ خليج بسكونية وتضم مقاطعة نافارا، وهضاب اشتوريس

وقد تم اخذ الكونت أوباس¹ لإقناع بلاي بالاستسلام لكن هذا الأخير وأتباعه رفضوا الفكرة وتحصنوا في مناطقهم المنيعه.

أشارت بعض الروايات النصرانية إلى أن بلاي وأتباعه قد حققوا نصرا كبيرا على المسلمين سنة (104هـ/722م)، حيث جاء هذا النصر بعد الحملة التي سيرها الوالي عنيسة بن سحيم الكلابي (103-107هـ/721-725م) بقيادة علقمة اللخمي للقضاء على بلاي وأتباعه في الشمال وقد عرفت هذه الواقعة عند النصارى باسم كوفادونجا-كوفادونجا² وCovadonga واعتبروها تاريخا حاسما ودافع قويا مواصلة الكفاح ضد المسلمين وخط بداية لحركة الاسترداد La Reconquista النصرانية.³

أما المصادر الإسلامية فقد قلت من قيمة هذه المعركة واعتبرتها مجرد تمرد في جليقية، ففي بداية الأمر كان النصارى يدافعون عن أنفسهم في المناطق الغير مفتوحة بحيث لم يتبق لهم سوى الكهف الصخري الذي يعرف بصخرة بلاي للاحتماء فيه فقد أشار المؤرخون المسلمون إلى تلك الأحداث لكن إشارتهم كانت موجزة.⁴

في الفترة الممتدة من (112-116هـ/730-734م) شعر المسلمون بازدياد خطورة بلاي، فقام الوالي الهيثم بن عبيدة الكناني بإرسال القائد مونوسة عامل المسلمين على اشتوريس سنة (112هـ/730م) للقضاء على بلاي، لكن هذا الأخير

¹أوباس Oppas هو ابن الملك غطشية تحالف مع المسلمين منذ بداية الفتح انتقاما من الملك لذريق لقتله أباه غطشية ، وقد عينه المسلمون حاكما على طليطلة

²هو كهف سانتاماريا يقع على ارتفاع شاهق، وهو منحوت في صخرة هائلة ويطل على واد سحيق يتوسطه أخدود تتجمع فيه السيول، ويوجد بجانبه سلسلة صخور شديدة الانحدار بحيث يصعب المرور من خلالهما

³رُجِبَ محمدٌ دَعْبَدَ الحليم. العلاقات بين الاندلس الاسلامية و اسبانيا النصرانية في عصر بني أمية، القاهرة ، بيروت، دار الكتاب المصري و دار الكتاب اللبناني،(د.ت)، ص39

⁴ ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج2، ص24

لجاء إلى الصخرة وتحصن بها، وبعد مقتل مونوسة سنة 113هـ/731م بسبب الخلاف الذي وقع بينه وعبد الرحمان الغافقي خلا الجَ وَّ أمام بلاي فاستولى على باقي مناطق كنتبرية وأشتريس.

وفي عهد الوالي عقبة بن الحجاج السلولي خرج بنفسه سنة(116هـ/734م) ليحارب بلاي وأتباعه، وتمكن من فتح ألبة والقلاع وبعض من مناطق جليقة باستثناء المنطقة التي تحصن بها بلاي والمعروفة بالصخرة.¹

واصل "بلاي" في ثوراته ضد المسلمين مستغلا الفتن بين الولاة مثل فتنة أبي الخطار الحسام بن ضرار الكلبى خاصة الحرب الأهلية في عهد الوالي عبد الملك بن قطن الفهري، والمتمثلة في تمرد البربر الذي انتقلت عدواه من المغرب إلى الأندلس وقد تمكن من هزيمة المسلمين وأخرجهم من جليقة وتوسعت حدودهم إلى غاية مدينة أسترقة.²

استمر بلاي في حكم لمملكة اشثوريس حتى وفاته سنة (119هـ/749م) واستطاعت المملكة الاشثوريسية التي كانت تخبئ وراء الجبال أن تتوسع عن طريق المصاهرة بين العائلة المالكة في اشثوريس و دوقيات كنتبرية في الشرق.³

بعد وفاة بلاي تولى ابنه فافيليا حكم مملكة اشثوريس لكن حكمه لم يدم سوى سنتان إذ توفي سنة(135هـ/751م) ولم يترك وريثا للحكم، وفي هذا الوقت كانت إمارة كنتبرية قد قويت واشتد ساعدها، وكان حاكمها ألفونسو خلفا لأبيه بطره بعد موته وتم عقد تحالف بين المملكتين وذلك بتزويج ألفونسو من ارموسنده ابنة بلاي وبما أن حاكم

¹شبارو ، المرجع السابق، ص 94، 95

²-أسترقة: تقع على أبواب إقليم جليقة في الشمال الغربي من الأندلس والى الغرب من مملكة

ليون، افتتحها المسلمون سنة 93هـ/714م

³ ابن عذاري ، البيان المغرب، ج2، ص 58

مملكة جليقة فافيللا لم يخلف وريثا لحكم المملكة فقد آل الحكم إلى صهره ألفونسو وبذلك توحدت المملكتان مكونة مملكة اشتوريس والتي تمتد من بلاد البشكنس شرقا إلى غاية المحيط الأطلسي غربا، ولم تشكل هذه الحدود خطا ثابتا من الناحية الجنوبية فقد كانت تتقدم عندما يحقق النصارى نصرا وتراجع في حالة تقدم المسلمون نحو تلك المناطق خاصة مدينة سمورة¹ Zamora و . مدينة Segovia²

بعد مقتل فرويلا سنة (159هـ/775م) انقسمت المملكة إلى عدة أجزاء فكان أورليوس ابن عم فرويلا يحكم الولايات الشرقية التي تشمل نافارا وبسكونيا، وتولى سيلو زوج ابنة ألفونسو الأول أروزندا حكم منطقة جليقية لكنهما تهادنتا، وبوفاة أورليوس سنة (164هـ/781م) انفرد سيلو بالحكم (164-167هـ/781-784م) على جميع المناطق النصرانية لان ألفونسو كان لازال صغير على تولي الحكم³.

بعد وفاة سيلو سنة (167هـ/784م) انقسمت المملكة من جديد فعندما تولى ألفونسو ابن فرويلا الحكم بوصاية عمته أروزندا زوجة سيلو، غضب الأشراف والشعب ورفضوا أن تحكمهم امرأة. فاندلعت ثورة عارمة بقيادة موريغاطة (مورجات) وهو ابن غير شرعي لألفونسو الأول من جارية عربية وتولى حكم المملكة. انضم العديد من الأشراف والنبلاء إلى جانب مورجات لخوفهم من ألفونسو بسبب اشتراكهم في محاربة أبوه فرويلا، في حين ألفونسو هرب إلى نفاارا وتحالف مع الفرنجة ضد مورجات الذي تحالف مع المسلمين بحكم صلة الدم التي تربطهم، فبغضه رجال الدين المتعصبين

¹ سمورة :مدينة أندلسية تقع في الثغر الأوسط فوق هضبة صخرية عي اليسار من نهر دويرة على مقربة من الحدود الشمالية البرتغالية، استولى عليها النصارى سنة 140هـ/757م ثم فتحها المسلمون ثانية، لكن بعد ذلك خرجت من أيديهم

² أنظر الملحق رقم 03، ص 97

³ طقوش ، المرجع السابق ص302،303 ، رجب ، المرجع السابق ،،ص130

واخذوا يحرضون الشعب ضده، لكنه تمكن من الاستمرار في حكم المملكة حتى وفاته سنة (173هـ/789م).¹

وبعد وفاة موريطا اختار الأشراف ورجالك الدين برمندا بن قلوبرية Bermundo (173-175هـ/789-791م) خلفا له خوفا من نقمة ألفونسو بن فرويلا عليهم حكم برمندا مدة سنتين على منطقة غربي جليقة، في حين بقي ألفونسو يحكم الجزء الشرقي، ويذكر أن برمندا كان ملكا ضعيف بلا خبرة بحيث تلقت قواته خسائر كبيرة من قبل جيش المسلمين وخوفا على مستقبل المملكة الاشتورية تنازل برمندا عن الحكم لألفونسو سنة 175هـ/791م وكان معروفا باسم ألفونسو الثاني.²

و عمل هذا الأخير على القيام بإصلاحات داخل مملكته وأعاد بناء مدينة أوفيدو وأوفيدو **Oviedo** : وتسمى أيضا أبيت وتقع في شمال إقليم أشتوريس قرب خليج بسكايية إلى الغرب من صخرة كوفادونجا على مسافة 85/كم وجعلها عاصمة لمملكته و لإحكام قبضته على المملكة تحالف مع شارلمان وابنه ، لكن هذا الفعل اغضب النبلاء ورجال الدين وثاروا ضده ومنعوه من عقد التحالفات الخارجية

بعد وفاة ألفونسو تولى ابنه ردمير الأول الحكم (227-230هـ/842-850م)، وكان قد شرع في إصلاحاته وترتيب شؤون مملكته، لكن ثورة الكونت ريوتيانوس سنة (230هـ/745م) -وهو احد زعماء الأشراف- الهادفة إلى الإطاحة بحكمه شغلته عن عمله، لكن ليس لوقت طويل حيث استطاع التغلب على الثائرين وألقى القبض على زعيمهم

¹ ابن عذاري ، المصدر السابق، ج2، ص 92،93 رجب ، المرجع السابق، س 132

² ابن الأثير ، الكامل، ج4، ص 124،

و تولى أردونيو الأول الحكم بعد وفاة أبيه ردمير سنة (235هـ/850م)، وفي عهده شهدت المملكة نهضة شاملة حيث عمل على بناء القلاع وتحصين المدن كمدينتي سمورة واسترقه وهذا ما زاد من صلابة المملكة النصرانية.¹

تولى ألفونسو الثالث الحكم سنة (251-298هـ/866-910م) وخلال عهده شهدت مملكته توسعا كبيرا، بحيث قام بنقل العاصمة إلى مدينة ليون سمى نفسه ملك ليون كما استغل سوء الأحوال في الجنوب واستطاع أن يصل بهجمات نهر التاجية، وان يشيد مدينة سمورة 280هـ/893م وأصبحت تشكل خطورة كبيرة للدولة الإسلامية. لكن ألفونسو الثالث تعرض لعدة ثورات في آخر عهده 298هـ/910م بسبب تقربه من رجال الدين وسياسته الاستبدادية بحيث ثار عليه أبنائه الثلاثة غرسيه وأردونيو و فرويلا بمساعدة من زوجته خيمينا وأرادوا إبعاده عن السلطة، وأدى سوء تقدير الملك لخطورة هذه المجموعة إلى انقسام المملكة فعين أردونيو حاكما على جليقية؛ وفرويلا الثاني على اشتوريس؛ وتنازل عن ولاية العهد لابنه غرسيه، وتوفي في نفس السنة.²

بعد ألفونس الثالث تولى ابنه غرسيه الحكم ما بين (298-301هـ/910-913م) وهو آخر ملوك جليقية و اشتوريس قبل أن تتوحد لتصبح مملكة موحدة وهي مملكة ليون عاصمتها مدينة ليون الواقعة في أواسط اشتوريس و جليقية.³

¹ رجب، المرجع السابق، ص 143

² ابن عذاري، المصدر السابق ج2 ص142،143

³ عنان محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، القاهرة، : مكتبة الخانجي المؤسسة

الوطنية للكتاب، ع1، ج2، ص 18

المحاضرة -6- الممالك النصرانية

- نشأة مملكة نافارا (نبرة) Navarra:1

وفي القرن الثالث هجري التاسع ميلادي نشأت مملكة نصرانية أخرى هي مملكة نافارا أو نبرة التي كانت في البداية إمارة ضيقة المساحة ضعيفة الشأن وسمتها المصادر العربية بإمارة بنبلونة. أما عن موقعها فهي تتوسط مملكتي برشلونة وليون وشرق من مملكة ليون (جليقة)، فهي بذلك تقع غربي جبال البرنية (البرتات) والى الشرق من جبال كنتبرية.

سكن مملكة نبرة شعب شديد المراس يسمى الباسك نسبة إلى منطقة بسكايه وهو اسم مشتق من الباسقونغادوس، أما العرب فكانوا يطلقون عليه اسم البشكنس أو البشكنوس—² كانت عاصمتهم مدينة بيمبلونة:بنبلونةPamplona:³ التي حكمها المسلمون مدة من الزمن لكن حكمهم لهذه المدينة لم يدم طويلا فقد سقطت المدينة من أيديهم في أواخر القرن الثاني هجري / الثامن ميلادي.

من الجدير بالذكر أن الباسك أو سكان مملكة نبرة قد تعرضوا لضغط رهيب من القوى الخارجية والتمثلة في الضغط الأموي من الجنوب والإفرنج من الشمال بحيث كان هدف كل منهما إخضاع وضم المنطقة لصالحه، لكن الباسك استطاعوا أن يحافظوا على حريتهم واستقلوا عن الأمويين والفرنجة مستغلين أفضلية طبيعة الأرض

¹ انظر خريطة الممالك النصرانية ملحق رقم 3

²أمة شديدة التمسك بقوميتها واستطاعت أن تحافظ على نقاء جنسها والباسك شعب يأنفون الظلم محبون للعدل والحرية، لهم لغة خاصة تسمى بالبشقية أي لغة الباسك ويعتبرون من أقدم شعوب أوروبا. ابن القوطية ، المصدر السابق،ص90.

³مدينة تقع شمال بالأندلس بينها وبين سرقسطة مائة وخمسة وعشرون ميلا وهي بين جبال شامخة وشعاب غامضة،

الجبليّة، كما أقدم أمراء جليقية على غزو نبرة في العديد من المرات لكنها استطاعت أن تحافظ على استقلالها نسبياً.

في نهاية القرن الثاني هجري/ الثامن ميلادي ثار الباسك رافضين الحماية الفرنسية عليهم، وهذا ما جعل الإمبراطور لويس يفكر في إخضاع الثوار فأرسل كل من الكونت أزنار والكونت أبل للقيام بالمهمة، وفي المقابل استغاث نصارى نبرة بالمسلمين لدحض الاعتداء الأفرنجي، بالطبع لبا المسلمون نداء الإغاثة من النباريين وجاءت الموافقة من العاصمة قرطبة، والحقيقة أن هذا التعاون أتى بفوائده إذ حقق هؤلاء انتصاراً ساحقاً على الأفرنج وتم أسر كل من القائدان ابلوا زنار ولكون هذا الأخير من أصول إسبانية تم العفو عنه وجعل نفسه أميراً على البلاد لتستقل بذلك مملكة نبرة نهائياً سنة (180هـ/799م)، وحكمها مجموعة الملوك النفاريين.¹

في الجزء الغربي من مملكة نبرة قامت ثلاث إمارات في جبال البرتات أهمها أرغون ، ويبدو أن الزعيم البوشكنسي اينيجو ريستا Inigo Arista المعروف عند العرب باسم ونقه بن شانجه قد استطاع توطيد قواعد الإمارة بعد خروجها من أيدي المسلمين سنة (183هـ/798م)، ثم ازدادت قوة المملكة شيئاً فشيئاً مستفيدة أولاً من موقعها الجغرافي الممتاز الواقع على المعابر الجبلية التي تربط إسبانيا بأوروبا لاسيما بلاد الغال.²

وثانياً من التحالف مع بني قسي أسياذ الثغر الأعلى عن طريق المصاهرة فقد أخبرتنا المصادر أن موسى بن فرتون بن قسي حاكم برجه بالثغر الأعلى كان متزوجاً من أميرة بشكنسية اسمها أسونا وبعد موته تزوجها ونقه بن شانجه، فكان نتاج هذا

¹ رجب ، المرجع السابق، ص 149

² ابن القوطية ، المصدر السابق، ص 81

الزواج المختلط أن كان هناك ثلاث أبناء إخوة لموسى بن موسى لأمه وهم ونقه بن ونقه وغرسيه وفرتون وقد لقبوا بألقاب الإمارة في نبره.¹

تولى حكم مملكة نبرة بعد شانجه ونقه بن ونقه وضل أميرا عليها حتى وفاته سنة (238هـ/852م)، بعدها تولى الحكم ابنه غرسيه (238-266هـ/852-879م) الذي كان قد تزوج اورية ابنة موسى بن موسى ،وقد حافظ غرسيه على علاقات جيدة مع بني قسي بزعامة موسى بن موسى حيث حارب هذا الأخير إلى جانب غرسيه ضد اردينيو الأول في معركة البلدة.²

في سنة (245هـ/859م) كان خروج الفايكينغ على سواحل الأندلس وغاراتهم بعد ذلك على بنبلونة حيث أسرو غرسيه بن ونقه، فافتدى نفسه معهم بعد أن أدى إليهم سبعين ألف دينار ودفع إليهم أبناءه رهائن، ثم رد إلى بنبلونة ليتولى حكمها بعد وفاة أبيه سنة (266هـ/879م).

تولى فرتون الأنقر الحكم خلف لأبيه غرسيه سنة (266-293هـ/879-905م) وجاء ذلك بعد أن أطلق سراحه المسلمون بعد عشرون سنة من الأسر في قرطبة، ثم خلع فرتون الانقر من الحكم سنة 293هـ/905م من طرف شانجه غرسيه Sancho Garcia الذي أخذ مكانه، ويعتبر شانجه أول أمير من أمراء نبرة يتخذ لقب الملك كما يرجع الفضل إليه في إرساء قواعد هذه الإمارة بشكل رسمي.

مات الملك ألفونسو الخامس سنة (416هـ/1028م) بعد عشرون سنة من الحكم، تولى الحكم من بعده ابنه برمودو الثالث من (416هـ/1028م) إلى

ابن حزم محمدّ نجمهرة انساب العرب ، تحقيق عبد السلام محمدّ د هارون،. القاهرة: دار المعارف، 2010، ص 502،503

²دوزي رينهرت. المسلمون في الأندلس، ج1، ترجمةحسن حبشي. القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب.1994، ص 135،218

غاية(425هـ/1053م)، عمل في فترة حكمه على إكمال مشروع أبيه في توحيد الممالك النصرانية، بعد أن تزوج الأميرة طريجة بنت كونت قشتالة شانجه بن غرسيه.¹

1- أوضاع مملكة نبرة (نافارا):

أوضاع مملكة نبرة من النشأة حتى تولى حكمها الملك شانجه بن غرسيه الأول (292-313هـ/905-925م) بعد أن قام بخلع أخيه فرتون وكان شانجه الأول قد عمل على توسيع أطراف مملكته كما كان أول من لقب بالملك من أمراء النصارى وفي عهده بدأت مملكة نبرة الحقيقية ومن هذا المنطلق سواصل عرض أوضاع مملكة نبرة في فترة ما بعد الملك شانجه الأول إلى غاية عهد الملك شانجه الثالث.²

بعد وفاة الملك شانجه الأول بسبب تدخله في الشؤون الداخلية لمملكة ليون لفض الصراع بين أبناء حليفه أردون الثاني، ورثه ابنه غرسيه شانجه Garcia Sanchez (314-359هـ/926-969م)، ولكونه صغير السن حكم أولاً تحت وصاية عمه خيمينوغرسييس ثم تحت وصاية أمه طودة Toda التي حكمت باسمه طويلاً، وارتبطت خلال تلك الفترة مملكة نبرة برابط المصاهرة مع مملكة ليون بعد إن زوجت الملكة طودة ابنتها اوركة من ملك ليون ردمير الثاني وتحالفت معه لهزيمة الناصر في معركة الخندق.³

عن طريق هذه الروابط استطاعت طودة إن تحتل مقاما رفيعا وسط الممالك الثلاثة، ولعبت دورا كبيرا في الحرب الأهلية التي وقعت في مملكة ليون عقب وفاة ملكها ردمير الثاني سنة (339هـ/951م) بعد أن وقفت إلى جانب حفيدها شانجه في

¹ رجب، المرجع السابق، ص ص 303، 307

² عنان، دولة الإسلام، ج1، ع1، ص14؛ انظر موقع مملكة نبرة ملحق رقم3

³ رجب، المرجع السابق، ص 244

الكثير من المرات على اثر صراعه على الحكم مع أخيه أردونيو، وعلاوة على ذلك فقد كان للملكة طودة دور كبير في تاريخ علاقاتها مع الاندلس.¹

حكم غرسيه حتى وفاته سنة (359هـ/980م) وورث العرش من بعده ابنه شانجه الثاني بن غرسيه الأول الذي كان قد صاهر الخليفة منصور بن أبي عامر، وخلال فترة حكمه كانت حدود مملكة نبرة قد توسعت ونمت قوتها وانتهى حكم الملك شانجه الثاني عند وفاته سنة (385هـ/994م). حكم مملكة نبرة بعد وفاة شانجه الثاني ابنه غرسيه الثاني من (385هـ/994م) إلى غاية (390هـ/1000م)، والذي يبدو انه كان ضعيف الشخصية حسبما ذكرته المراجع النصرانية فقد لقبته بغرسيه المرتجف.²

3- مملكة قطلونية (برشلونة) Catalauni:

إلى جانب مملكة ليون ونبرة وفي الجهة الشرقية من بلاد الأندلس وعلى شاطئ البحر الأبيض المتوسط ، كان هناك تجمع نصراني ثالث وهو إمارة قطلونية -

- قطلونية: تضاربت آراء المؤرخين حول أصل تسمية قطلونية فمنهم من ينسبها إلى إحدى الشعوب العتيقة وهم الكاستلاني Castellani بينما نسبها آخرون إلى قبيلة قاط ألاني Cathie Alani، كما أطلق عليها أيضا اسم بارسينو Barcino، - التي عرفت باستقلالها عن سائر اسبانيا منذ القديم سكن هذه المنطقة شعب عرف باسم القطلان كانت لغتهم تختلف عن اللغة الاسبانية وهي تشبه لغة جنوب فرنسا وقد

¹ عنان ، دولة الإسلام، ع1، ص 412، 413

² ابن عذاري ، المصدر السابق، ج2، ص146، رجب ، المرجع السابق، ص152، 153

امتدت هذه الإمارة من الثغر الأعلى في الغرب إلى البحر المتوسط في الشرق، ومن بلنسية في الجنوب إلى جبال البرنات في الشمال.¹

تم فتح قطلونية في عهد موسى بن نصير فبعد أن انتصر المسلمون على القوط في معركة واد لكن سنة (92هـ/711م) توجهت أنظار الفاتحين إلى باقي المدن الأندلسية، فاتجه موسى بن نصير إلى جانب طارق بن زياد إلى مدينة سرقسطة و تمكنوا من فتحها، ثم توغل موسى بن نصير حتى مدينة برشلونة ففتحها هي ومدينة أربونة²

لكن لم يدم تواجد المسلمين طويلا في تلك المناطق، فقد تعرضت مدينة برشلونة على غرار الكثير من المدن إلى هجمات الفرنجة ونصارى الشمال ففي الفترة الممتدة من (98-180هـ/718-792م) توالى سقوط المناطق المفتوحة تباعا، بسبب تفشى الضعف والانشقاق بين الحكام الأندلسيين بسبب طباع أهل الأندلس من حب السيطرة والخروج عن الحاكم.³

وفي الوقت الذي كان فيه المسلمون يعانون من الفرقة والانقسامات كان النصارى يشكلون تحالفات، ففي عهد بيبين وشارلمان خضعت الفرنجة بأكملها إلى سلطة واحدة ولم يعد المسلمون هم المهاجمون لمسيحي الإفرنج، بل على العكس من ذلك حيث أصبح الإفرنج هم المهاجمون للمسلمين استطاع "بيبين" بمساعدة من الأمير القوطي أنسماندوس أن يستولي على العديد من المدن مع الفرنجة

كان تدهور أوضاع المسلمين سببا في ضعف أربونة وسقوطها، بحيث قام نصارى المدينة بفتح الأبواب لقوات الفرنجة مقابل الاستقلال الداخلي وسقطت بذلك

¹ رجب ، المرجع السابق، ص 156

² ابن عذاري، البيان، ج2، ص64، شبارو ، المرجع السابق، ص 83

³ عنان ،دولة الإسلام، ق1، ع1، ص230

آخر المعادل الإسلامية سنة (141هـ/759م)، وبعد أن سيطر الإفرنج على مدينة أربونة توجهت أنظارهم إلى مناطق أكثر أهمية بهدف تأمين حدودهم الجنوبية المتاخمة للأراضي الإسلامية، وكانت البداية من مدينة جيرونة حيث استولى عليها الفرنجة سنة (169هـ/786م) وقام شارلمان بتقوية دفاعها ولم يتمكن العرب من استعادتها، وانتهى الأمر بإنشاء إمارة قطلونية النصرانية عاصمتها تولوز والتي ضمت كل من جيرونة و أزونة و سولسونه وتم تعيين لويس ابن شارلمان حاكما عليها.¹

عمل ألفونسو الثاني (175-227هـ/791-842م) ملك اشتوريس على توسيع حدود مملكته مستغلا انشغال الأمير الحكم بن هشام بإخماد الثورات الداخلية، فقام بغزو الكثير من المدن الإسلامية واستعان في تنفيذ مشروعه بشارلمان ملك الفرنجة الذي كانت لديه نوايا في السيطرة على مدينة برشلونة، وبعد عقد تحالف بين الملكين وفي سنة 185هـ/801م تحرك ألفونسو الثاني إلى برشلونة، أما بالنسبة إلى شارلمان فقد قسم جيشه إلى قسمين بحيث سار الأول نحو برشلونة لمهاجمتها وكان بقيادة حاكم جيرونة، أما القسم الثاني فكان بقيادة ابنه لويس والهدف منه هو محاصرة برشلونة من الناحية الغربية مع الهجوم كلما سنحت له الأحوال بذلك.²

اختلفت الروايات حول كيفية سقوط مدينة برشلونة، فهناك من قال بان اشتداد الحصار على المدينة وعدم نجدتها من قبل الحكم بن هشام بسبب انشغاله بتمرد عميه سليمان وعبد الله، قد وضع واليها سعدون الرعيني في مأزق فخرج لطلب المساعدة بنفسه لكن تم القبض عليه وتم أسره ومع طول مدة الحصار الذي دام سبعة أشهر

¹وفاء مختار غزالي، المرجع السابق، ص 272، 273، 275

²رجب، المرجع السابق، ص 156، 158

وبسبب عدم قدرة المدينة على الصمود بعد أن هلك الآلاف من أهلها استسلمت المدينة أمام الأعداء.

أما الرواية الثانية فقد أرجعت سبب سقوط برشلونة إلى تمرد سعدون على الدكّام بن هشام ودخل في طاعة شارلمان سنة (181هـ/797م) حيث قام هذا الأخير بالاستيلاء عليها

رغم اختلاف الروايتين إلى أنهما اجتمعتا على أن سقوط برشلونة كان سنة (185هـ/801م) وجاء اعتراف الحكم الأول رسمياً سنة (201هـ/816م) باستيلاء الفرنجة عليها وبذلك اكتملت إمارة قطلونيا النصرانية.¹ حكم إمارة قطلونية مجموعة من الكونتات التابعين إلى ملوك الفرنجة، لكن لم يدم خضوع هؤلاء الكونتات طويلاً للفرنجة ففي سنة 261هـ/874م أعلن وفريديو كونت برشلونة استقلاله على الفرنجة.²

¹ ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص109

² أنظر الملحق رقم 04، ص 84.

المحاضرة 7 : علاقة الأمويين بالأندلس مع الممالك النصرانية

دخلت الأندلس عصر جديد خلال خلافة الناصر و بلغت خلاله ذروة مجدها حتى نهاية القرن 4هـ.

ومنذ تولي عبد الرحمان الثالث الحكم فرض عليه القتال ومواجهة ثلاث جبهات : واحدة داخلية واثنين خارجية، ، وأما في الخارج فكانت الأولى الإمارات النصرانية في شمال إسبانيا التي أضحت أكثر تنظيماً وقوة وأكثر تهديداً لثغور المسلمين،¹ قام عبد الرحمان الناصر بتوجيه حملات متتالية نحو " عمر بن حفصون " ومن بعده أبناءه (جعفر ثم سليمان ثم حفص)، وانتهت باستسلام هذا الأخير سنة 315 هـ / 928م، ثم أعاد إشبيلية إلى الطاعة سنة 301 هـ / 913 م ، و مناطق الثغور المحاذية للنصارى و المتحالفة معها وتدرجياً خضعت له مرسية وبلنسية وشاطبة وسرقسطة وماردة وبطليوس وغيرها، و في الأخير طليطلة التي بقيت على عصيانها فقام بمحاصرتها سنة 317 هـ إلى أن استسلمت للطاعة.²

مظاهر العلاقات الدبلوماسية مع النصارى

- عهد عبد الرحمان الثالث -

¹ رضا كحيلة القطوف الدواني في التاريخ الاسباني القاهرة ، 1998/1419، ص93

² ابن الخطيب لسان الدين، تاريخ اسبانية الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام ، تح ليفي بروفنسال ، بيروت ، ط 2، دار المكشوف ، 1956 ص 32، 33 ؛ شبارو عصام محمد، الاندلس من الفتح العربي المرصود الى الفردوس المفقود، بيروت، ، دار النهضة العربية ،

أرسل الخليفة عبد الرحمان الثالث حملة ضد أردونيو الثاني ملك إمارة ليون () Ordone حكم بين 302 هـ - 924 - 914 م) الذي أغار على غرب الأندلس، كما حارب خلفائه (فرويلة الثالث) Fruela (، ثم ابن أخيه ألفونسو الرابع "الراهب" بن أردونيو الثاني) Le Moine ، ثم أخاه راميرو الثاني . Ramiro و قاد حملات ضد مملكة نافارا (بنبلونة) التي كان على رأسها سانشو بن غرسية Sancho () Garcés حكم بين 313 - 291 هـ 926 - 905 م)، ثم ضد مملكة قشتالة التي حكمها فرناندو غونزاليز (Fernand Gonzales (بين 359 - 317 هـ - 930 / 970م)، وضد منطقة جليقية عدة مرات،¹ وهذا ما جعل الكثير يطلبود ه مثل قسطنطين الأكبر (السابع) إمبراطور القسطنطينية، وأوتو الأكبر إمبراطور ألمانيا،² ومن نصارى الشمال التي رغبت في وده مملكة برشلونة ممثلة في رئيسها سونير Sunier حكم بين 343 - 302 هـ - 914 / 954م) كما استقبل وفادة الصلح من ملك ليون أردونيو الثالث سنة 344 هـ 955 م، ومملكة نافار "تودة Toda" رفقة حفيدها سانشو السمين (Le Gros (سنة 347 هـ / 958م طالبة الإعانة لاسترجاع ملك حفيدها من ابن عمه المغتصب أردونيو الرابع.³

علاقات الد ك م الثاني "المستنصر بالله" مع النصارى

تولى الحكم بعد وفاة أبيه الناصر سنة 350 هـ 961 م، و انتهج نفس سياسة والده في الحكم. واستمر في سياسة والده في بلاد المغرب من محاربة الفاطميين

¹ ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج2 ص179 ، 180

² ابن عذاري ، نفس المصدر ، ج 2 ، ص243

³ ابن الخطيب لسان الدين، تاريخ اسبانية الإسلامية أو كتاب أعلام الأعلام ص 171، 172

وتقريب أعدائهم إلى بلاطه¹ ، أما مع النصارى فتواصلت الحملات ضد بعضهم كإمارة قشتالة، وتواصلت سفارات بعضهم إلى قرطبة تجدد التحالف والتعاون كإمارة نافار برشلونة وملك البشكنس وإمارة ليون، و من صاحب القسطنطينية سنة 361 هـ/972م. ومن فرنسا جاءت سفارة من ملكها "هوتو" (سنة 363 هـ / 974م)²

ومن أهم ما ميز المجتمع الأندلسي عهد الناصر وابنه هو مظهر التسامح الديني الكبير الذي عاش في كنفه اليهود والنصارى، فقد مارسوا طقوسهم بكل حرية وعاشوا وسط المسلمين دون أن يعترض عليهم أحد، في شؤونهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، حيث ظهر منهم عشرات العلماء والمتقنين خاصة من اليهود، بل وصل بعضهم إلى منصب مستشار الخليفة نفسه كيوسف بن شبروت اليهودي وربيع بن زيد (ريسيوندو) النصراني³

– الممالك النصرانية و علاقتها بمسلمي الأندلس

(من ق5هـ-9هـ / 10 - 15م):

خلال القرن 5هـ/11م طرأ تقارب بين الممالك النصرانية من اجل هدف أساسي كانت من ورائه أهداف دينية و أطماع سياسية حيث نلاحظ توحيد الإمارات النصرانية و تآزر بعضها بعض تدعيما من رجال الدين النصارى و التي نذكر منها بعض النماذج كالتالي .

الممالك النصرانية

1_مملكة قشتالة : Castilla

السمرائي خليل ابراهيم و عبد الواحد ذنون و ناطق صالح مطلوب، تاريخ العرب وحضارتهم

في الأندلس،بيروت ، دار الكتاب الجديد،ط 1، 2000،ص170

² المقري، نفح الطيب، ج1، ص365، عنان دولة ، الإسلام، ج2، ص 402 401،

³شبارو،المرجع السابق، ص 170، كحيلة ،المرجع السابق، ص 100

تأسست هذه المملكة في الشمال الإسباني (وسط)، على يد فرديناند قونزليز Ferdinand Gonzalez (930 - 970 م) وهو أول كونت لقشتالة، والذي خلفه ابنه غارسيا 995 - 970 م، وكانت هذه المملكة تتوسع على باقي الممالك الإسبانية حتى أضحت أكبر الممالك وأقواها، وأخطرها على المسلمين، فكانت علاقتها بالمسلمين الذين يسمونها (ألبه والقلاع بهجاء) بين السلم والحرب منذ عهد الدولة الأموية،¹ وكان أشهر ملوكها ألفونسو السادس 1072 - 1065 م، الذي ضم مملكة ليون فحكمهما معا إلى غاية 1109م (502 - 458 هـ) ، وهو الذي غزا طليطلة سنة 1085 م / 478 هـ، وضمها إلى مملكته، واعتُبر ذلك البداية الفعلية لسقوط الأندلس، ثم خلفه ألفونسو السابع (1157 - 1126 م / 552 - 520 هـ)، الذي عاصر المرابطين، ومن أشهرهم أيضا ألفونسو العاشر (العالم) الذي حكم بين 1284 - 1252 م / 683 - هـ، وانتهت إلى حكم الملكة إيزابيلا (Isabelle la Catholique) 879 - 910 هـ / 1504 - 1474 م، التي تزوجت ابن عمها ملك أراغون فتوحدت المملكتين، وكانت سقوط غرناطة على يديهما سنة 898هـ/1492م².

2 مملكة ليون : Léon ليون

أسسها غارسيا الأول (914 - 910 م) Garcia 1 er م، في أقصى الشمال أيضا (تميل قليلا إلى الغرب)، ثم خلفه أوردونيو الثاني 924 - 914 م، خضعت عدة مرات إلى ملوك قشتالة، فتوحدت معها أيام ألفونسو السادس، ثم عادت لتستقل بعد وفاة ألفونسو السابع ، لتعود مرة أخرى إلى الانضمام أيام ألفونسو التاسع (ت .

¹ رجب، المرجع السابق، ص ، 207206

² طقوش، المرجع السابق، ص470، شبالو، المرجع السابق، 290

1230 م (628 هـ)، وكانت من حيث العلاقات مع المسلمين في نفس الدرجة مع قشتالة، سلما وحربا¹.

3 مملكة نافار: Navarra

من الإمارات المسيحية الأولى التي تأسست في أقصى الشمال، بين أراغون وقشتالة، على يد إنكو أريستا Eneko Arista de pampelune بين 852 - 810 م، خلفه عليها غارسيا الأول بين 870 - 852 م، وهي الإمارة الوحيدة التي لم تخضع لأي سلطة أخرى من الممالك المسيحية، وعرفت اصطدام كبيرة مع المسلمين، كما أنها استمرت مستقلة أثناء وبعد سقوط غرناطة آخر معقل للمسلمين، ثم سرعان ما انضمت إلى إسبانيا الموحدة²

4-مملكة أراغون: Aragona

تأسست على يد راميرو الأول (1037 - 1035 م Ramir 1er م)، بأقصى الشمال الشرقي، ثم خلفه سانشو الأول الذي حكم بين (1076 - 1063 م) ومن أشهر حكامها ألفونسو الأول (المحارب 1134 - 1105 م) 529 - 499 هـ، والذي حارب ملوك الطوائف، وخضعت أحيانا إلى حكام قشتالة، وظلت هذه الإمارة في تصاعد إلى أن تحالفت مع قشتالة في عهد ملكها فرديناند Ferdinand le

¹ طقوش، نفس المرجع، ص 558، 557

² ابن القوطية. ابو بكر تاريخ افتتاح الاندلس، تحقيق اسماعل العربي. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989، ص 90؛ ابن الأبار، الحلة السيرة ج 1. القاهرة، دار المعارف، 1985، ص 199، 197

Catholique – 1479 م - 1516 م)، بعد زواج هذا الأخير بابنة عمه ملكة قشتالة إيزابيلا¹ ..

5 مملكة البرتغال : Portugal تأسست على يد هنري البورغندي Henri de Bourgogne (الرنك)، الذي حكم بين 1112 - 1093 م، وخلفه ابنه ألفونس هنركي Alfonse Henriq م)، وتقع جنوب غاليسيا، غرباً لأندلس، ظلت مستقلة إلى أن توحدت قشتالة مع أراغون، ثم سقطت غرناطة المسلمة، حيث كان على رأسها مانويل الأول Manuel 1er (1495 - 1521)، و هي إلى اليوم دولة مستقلة.

6- إمارة كتالونيا (برشلونة)

تأسست شمال إسبانيا في أقصى الشمال الشرقي انضمت إلى مملكة أراغون. وغاليسيا في أقصى الشمال الغربي وانضمت إلى مملكة ليون. كانت العلاقات بين هذه الممالك وبين المسلمين متأرجحة بين السلم والحرب، كما سبق وأن ذكرنا من قبل ، وكانت تخضع لميزان القوة الإسلامية ، ومدى التقارب النصراني ، بعدما كانت حملات حكام بني أمية إلى الشمال كثيرة صيفا أو شتاء. و اضطرت بعض الممالك إلى عقد معاهدات سلم، كما سلف ذكره في عصر قوة الخلافة الأموية لكن انقلبت كفة القوة و مال ثقلها لجهة النصارى في عصر الطائفية الأندلسية

¹ طقوش ، المرجع السابق ، 513، 514

المحاضرة / 8 علاقة المرابطين بالممالك النصرانية

عرفت الأندلس بعد سقوط الخلافة 422هـ / فترة تفكك الوحدة السياسية بظهور إمارات مستقلة عرف بملوك الطوائف في القرن 5هـ / 11م. أدى إلى قيام عددٍ من الدويلات الصغيرة المتقاتلة والمتصارعة فيما بينها وكانت حوالي 20 إمارة أو دويلات طائفية، وهو مكرّس ظاهرة "التكوين العنصري" لأهل الأندلس منها دويلات ذات أصول بربرية، وأخرى عربية، وأخرى تنتمي إلى الموالي والصقالبة.¹

في هذه الأثناء كانت الأندلس تتعرض لهجمة شرسة من طرف ألفونسو السادس ملك قشتالة الذي انتزع طليطلة من يد المسلمين سنة 1085 م، وهدد ما بقي من أراضي المسلمين. فما كان من أمراء دويلات الطوائف إلا طلب النجدة من أمير المسلمين يوسف بن تاشفين أمير المرابطين،² وكان على رأسهم "المعتمد بن عباد" صاحب قرطب، وشبيلية، و"المتوكل بن الألفس" صاحب بطليوس، إضافة إلى رسائل الفقهاء، فلبى يوسف النداء وهزم ألفونسو السادس في المعركة الشهيرة بالزلاقة في 479هـ / 1086 م، ثم عاد إلى المغرب³

لكن الأمور في الأندلس تعبر يوسف بن تاشفين الذي سرعان ما نقم من تخاذل حكام الطوائف وتعاون بعضهم مع النصارى فقرر خلعهم نهائياً وضم البلاد إلى سلطته مباشرة، و بدأ بخلعهم عند عبوره الثالث، حيث ضم غرناطة ومالقة سنة 483

¹ طقوش، المرجع السابق، ص 227

² ابن السماك العامري، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق بوابية عبد القادر الكتب العلمية، بيروت، 2010، ص 95، 97

حامد محمد الخليفة، انتصارات يوسف بن تاشفين الامارات، الشارقة، مكتبة

الصحابية، 1425هـ/2004م، ص 117، 116، 121؛ طقوش، نفس المرجع، ص 238

هـ 1090 م، ثم قرطبتوا شيبيلية سنة 484هـ / 1091م لتسقط على يديه باقي المدن تباعا، فتم له ضم جميع الأندلس عند عبوره الرابع والأخير سنة 496 هـ 1103 م / و أصبحت الأندلس ولاية مرابطية¹.

ولما سقطت سرقسطة بيد ألفونسو المحارب سنة 512 هـ 1118 م، جاز الأمير علي بن يوسف إلى الأندلس ومغلق² كثير من المرابطين والمطوعة من العرب وزناتة والمصامدة وسائر قبائل البربر . و لتلحق ك ألفونسو السادس سنة 519 هـ / 1125م لغزو غرناطة استتجد واليها أبو طاهر تميم بن يوسف بأخيه علي أمير المؤمنين، فأنجده من المغرب بجيش وافر، وصارت الجيوش كالدائرة على غرناطة، وهي في وسطها كالنقطة² .

أما الأمير تاشفين بن علي (539 - 537 هـ / 1145 - 1143 م)، الذي خلف والده علي بن يوسف سنة 537 هـ / 1143 م فقد غزى نصارى الأندلس عدة مرات وكان في جيشه عدد كبير من المرابطين وزناتة والحشم والعرب. لكن كان يحارب على جبهتين : داخلية ضد المواحدين ؛ و خارجية ضد النصارى من الشمال حيث اشتدت غزوات ألفونسو السادس و استولى على سراقسطة في سنة 512هـ/1118م ، فظهر للعيان ضعف الدولة، وهو ما دفع قوى الداخل إلى الثورة انتهى حكم المرابطين في الأندلس. بسقوط عاصمتهم مراكش في يد الموحيدين 541هـ/ 1147م³ لقد كانت العلاقات بين هذه الممالك وبين المسلمين متأرجحة بين السلم والحرب، كما سبق وأن ذكرنا من قبل ، وكانت تخضع لميزان القوة الإسلامية ، ومدى التقارب

¹أحمد محمد د الخليفة، انتصارات يوسف بن تاشفين ، ص 183، 190، 191، 208 وأنظر الخريطة السياسية الأندلس ولاية مغربية الملحق رقم 05،

Vincent Lagardere, les Almoravides, L'Harmattan, Paris, 146, 147

² طقوش، المرجع السابق، ص 513

³شبالو، المرجع السابق، ص 235

النصراني و بعدما كانت حملات حكام بني أمية إلى الشمال كثيرة صيفا أو شتاء، و اضطر بعض الممالك عقد معاهدات سلم، كما سلف ذكره في عصر قوة الخلافة الأموية و الدولة العامرية انقلبت كفة القوة و مال ثقلها لجهة النصارى في عصر الطائفية الأندلسية

- المحاضرة 9: علاقة الموحدين بالممالك النصرانية

بعد إتمام الموحدين ضم مناطق المغرب و القضاء على المرابطين ، توجهت أنظارهم نحو الأندلس التي كانت تعاني من تطور خطير على المستوى الأمني و فقد ممتلكاتها الشمالية إثر تراجع القوة الجهادية بعد انهيار دولة المرابطين. و سميت سنة ضم عبد المؤمن بن علي الأندلس بسنة الأخماس 555هـ. و أولى عناية خاصة لأدارتها و حمايتها.¹

و عموما كان خلفاء الموحدين يعيّنون أبناءهم وقادتهم البربر على الأندلس، و يُرسلون إليها جنودهم ليحكموها سائرين بذلك سيرة سابقهم، مثل ما قام به **عبد المؤمن بن علي** الذي قسّم م عسكره إلى ثلاثة جيّه ثلثاً واحداً إلى الأندلس مع ابنه السيد أبي حفص ، ثم ولى أبناءه على الأقاليم، منهم السيد أبو سعيد عثمان الذي ولاه على غرناطة، وأعطى إشبيلية لابنه الثاني **يوسف** الذي ولاه العهد بعد ذلك ولما جاز يوسف أيام خلافته، الجواز الثاني سنة 580 هـ 1185 - 1184 /م ولى قيادة الجيوش شقيقاه: أبو حفص وأبو سعيد، وولى بنيه قواعد . وهذه السياسة التمييزية سار عليها الموحدون حتى في تكوين الجيش، حيث كان أساسه قائما على قبائل الموحدين، ثم القبائل البربرية الأخرى فالأندلسيون.²

جدد الموحدون حركة الجهاد في الأندلس دفاعا على المسلمين و ممتلكاتهم و من أشهر المواقع التي تكل الانتصار الباهر معركة الأرك: 1195Alarcos / 19 شعبان 591هـ بقيادة أبي يوسف يعقوب المنصور حيث اضطر ألفونسو الثامن بعدها

ابن السماك العامري، المصدر السابق، ص223، 224

²ابن الخطيب الإحاطة، ج1، ص 279، أنظر الملحق خريطة الأندلس تحت حكم الموحدين رقم

لطلب الهدنة من أبي يوسف حددت هذه المعركة من الزحف النصراني على أراضي المسلمين و أعادت الثقة في نفوسهم .¹

لكن خلفاء المنصور من حكام الموحدين لم يكنوا في نفس مستواه و حنكته السياسية ففي سنة 609 هـ / 1212 م تلقى الجيش الموحي ضربة قاسية حدد من قوته الهجومية و الدفاعية و ذلك في هزيمة معركة العقاب أو Las Navas de Tolosa بعد هزيمة حصن العقاب زاد غزو الممالك النصرانية فاستولت على معظم بلاد الأندلس، و لم يبق للمسلمين إلا مملكة غرناطة (897 – 635 هـ / 1492 - 1237 / م) تحت حكم بني نصر.²

¹السلوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى، ص222 طقوش ، المرجع السابق ص 268

² ابن الخطيب ، اللحة البدرية ، ص67، 69 ؛ الحميري ،المصدر السابق ، ص 137،138؛ طقوش، المرجع السابق، ص 271، 272

المحاضرة 10: علاقة الحفصيين والزيانيين والمرنيين بالممالك

النصرانية

- 1 الوضع العام ببلاد الغرب الإسلامي بعد الموحدين

بعد ضعف الدولة الموحدية خاصة بعد هزيمة معركة العقاب في سنة 609 هـ / 1212م، شهدت في بلاد المغرب الإسلامي عدة ثورات و صراع قبلي و حركات انفصالية ، و اشتد تنافس الولاة و الأمراء على رئاسة بلاد المغرب الإسلامي فأسفر هذا الصراع على ظهور ثلاث دول مستقلة ، حيث خضع الجزء الشرقي لسيطرة بني حفص¹ ، بينما استقر بنو زيان بالجزء الأوسط(الجزائر)² و الجزء الغربي لبني مرين.³

و قضى على الدولة الموحدية مؤسس دولة مرين أبو يوسف يعقوب يوسف بن عبد الحق الذي خاض معركة حاسمة مع الموحدين قتل آخر حكامها " الوائق بالله" المعروف بأبي دبوس) سنة 668هـ/1229م . و اتخذ من فاس عاصمة لدولته .

¹ عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الوسيط، ط5 .، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 6865 ، ص96 .

² محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات .الجامعية، الجزائر ، 2001 ، ص45 .

³ ابن ابي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس، مراجعة عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1420، 1999، ص364،، 368 ابن مرزوق التلمساني محمد د المسند الصحيح الحسن في مآثر و محاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق ماريا خوسيس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1401هـ/1980م ص 109، 110، 113

و كان للمرينيين علاقة وطيدة مع مملكة بني الأحمر في الأندلس حيث أمدهم بالمساعدات المادية و العسكرية كما و طد بنو الأحمر علاقاتهم السياسية و الاجتماعية و الثقافية مع بني زيان بتلمسان¹

أما في الأندلس وبعد سقوط أهم الحواضر بيد الإسبان كقرطبة سنة 633 هـ / 1236م و إشبيلية سنة 646 هـ 1248 م، و سقطت بين هذين التاريخين دانية، بلنسية، جيان، شاطبة، مرسية وغيرها، رأى أهل الأندلس أخذ المبادرة بأيديهم فظهرت زعامات محلية كان أشهرها مملكة غرناطة (635 - 897 هـ / 1237 - 1492 م) مؤسسها " أبو عبد الله محمد بن يوسف بن نصر" المعروف " بابن الأحمر" (حكم بين 671 - 635 هـ 1272 - 1237 م)،² ضمت المملكة ثلاث ولايات: غرناطة في الوسط، ألمرية في الشرق، و مالقة في الجنوب، يخبرنا ابن الخطيب " أنه تلقب بالغالب بالله، و دعا في أول ولايته للمستنصر العباسي ببغداد، ثم عدل عن ذلك. واجه ابن الأحمر خطر الممالك الإسبانية خاصصقلكتي³ قشتالة و أراغون، وصل به الأمر إلى يدفع الجزية لفرناندو الثالث ملك قشتالة .

وبعد وفاته سنة 671 هـ / 1272 م تولى ابنه محمد د الملقب بالفقيه، والذي وجد في المرينيين خير معين في حروبه ضد نصارى الأندلس، لكنه خاصمهم قبل وفاته سنة 701 هـ 1302 م، فكثر بعده الشقاق والخلاف داخل بيت بني الأحمر، كما زاد نفوذ المرينيين، واشتدت حملات قشتالة وأراغون ، اللتان كانتا من حين لآخر تعقد معاهدة للصلح مع حكام غرناطة³، إلا أن بيت بني الأحمر استهلكته حروب السلطة بين الخلع أحيانا و الاغتيالات أحيانا أخرى ، في الوقت الذي كانت فيه أراغون

¹ طقوش المرجع السابق، ص 274؛ أنظر الخريطة السياسية الملحق رقم 07، ص 87.

² ابن الخطيب: الإحاطة، ج 1، ص 163

³ ابن الخطيب اللوحة البدرية في الدولة النصرية، تق محمد د مسعود جبران، بيروت، دار المدار الإسلامي،، 2009، ص 57، 58.

تتقرب من قشتالة ، التي تمكنت من احتلال جبل طارق عام 867 هـ / 1462 م أيام حكم السلطان سعيد بن إسماعيل (868 - 858 هـ / 1464 - 1454 م)،

وكانت قاصمة ظهر مسلمي غرناطة بمنع وصول إمدادات الدولة المرينية التي ما لبثت أن سقطت عام 869 هـ على يد بني وطاس التي لم تكن بقوة سابقتها. أما من ناحية النصارى فاتحدت مملكتا قشتالة و أراغون في 884 هـ 1479 م / على إثر زواج الملكة إيزبيلا الكاثوليكية وملك فرديناند الخامس سنة 874 هـ ، نتج عن هذا الزواج زيادة الضغط على أبي الحسن علي الغرناطي" الغالب بالله (887 - 868 هـ / 1482 - 1464 م)¹،

والذي طُلب منه الخضوع إلى شروطٍ مجحفة، وكان رفضه لها سببا في الهجوم على غرناطة، وهو ما استغله أخوه "أبو عبد الله الزغل" الذي تمرد عليه بمساعدة قشتالة ، مستقلا بمالقة وخذل محمد الثالث ابن محمد الفقيه في 708 هـ - 1309 م / ، ثم ابنه نصر الذي خلفه على العرش، في سنة 713 هـ / 1314 م،

وتوفي خليفته إسماعيل (الأول) بن فرج بن إسماعيل بن يوسف مغتالا سنة 725 هـ 1325 م / و لقي نفس المصير الذي لقي ابنه خليفته محمد بن إسماعيل سنة 733 هـ 1333 م / ، ليخلفه أخاه يوسف الأول، الذي اغتيل بدوره سنة 755 هـ 1354 م / ، واختلف محمد الخامس بن يوسف - 755 هـ - 793 / 1391 - 1354 م) مع أخيه إسماعيل بن يوسف الذي نازعه الملك مدة ثلاث سنوات، وكان ابن الخطيب المؤرخ الكبير وزيره الأول، وعلى يديه كانت محنته ومقتله سنة 776 هـ / 1374 م².

¹ مجهول ،نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، تحقيق محمد رضوان الداية: آخر أيام غرناطة ، دار الفكر ، دمشق، دار المعاصر ، بيروت، ط2 ، ، 2002 ص 62، 64.

عنان : نهاية الأندلس، ص 204.

² نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، ص 105 ، 106 . عنان :نهاية الأندلس ، ص 277

تولى بعده أبو عبد الله الصغير ولايته الأولى 888 - 887 (هـ - 1482 / 1483م)، وهو ابن الحرة عائشة ، التي كان لها الفضل في تحويل الولاية لابنها بدلا من إخوته (من أم نصرانية).

أعلنها أبو عبد الله حربا ضد قشتالة لكنه سقط أسيرا فخلفه والده أبو الحسن علي إلى غاية سنة 890هـ / 1485 م، التي فيها أُطلق سراح أبو عبد الله الصغير على إثر اتفاقيةٍ لح كانت لصالح قشتالة، وكان عمه الزغل قد جلس على عرش غرناطة (890 - 892 هـ)، فعاد الصغير لعرشه سنة 892هـ / 1487 م (بعد جهود أمه عائشة الحرة في فدائه)، لبدأ صراع واقتتالٍ جديد بين أفراد الأسرة الحاكمة انتهى إلى تقسيم مملكة غرناطة، هذا الانقسام استغله الزوجين إيزابيلا و فرديناند (فحاصر الجيش النصراني أملاك الزغل الذي استسلم عام 892 هـ ، و نتج على التصرف سقوط الحصون والمدن الأندلسية الغرناطية،¹

ثم تلاه حصار مدينة غرناطة في ربيع الأول 897هـ / 1491 م التي يُرت بين الاستسلام أو الحرب، لكن رفض أعيان المدينة لشروط الاستسلام أدى إلى تشديد الحصار الذي تضاعفت آثاره على المسلمين الذين اضطروا إلى الاستسلام بعد سبعة أشهر، و تم التوقيع على معاهدة الاستسلام في 21 محرم 897 هـ / 25 نوفمبر 1491م، وفُتحت مدينة غرناطة أبوابها للنصارى في 02 جانفي 1492 م / 02 ربيع الأول 897 هـ، فغادر أبو عبد الله الصغير المدينة إلى منطقة "البشرات" حسب الاتفاق المبرم، ثم غادر الأندلس نحو عدوة المغرب مستقرا بمدينة فاس التي توفي بها (سنة 940 هـ / 1534 م).²

¹ فرحات يوسف، غرناطة في ظل بني الأحمر، 62

² عدنان درويش: الأندلس من نفح الطيب ،ص 314،315

وكان المؤثر الأساسي في هذه العلاقات هي الروح الصليبية الانتقامية التي غذتها الكنيسة الكاثوليكية لينتهي وجود الدولة الإسلامية في الأندلس (إسبانيا و البرتغال حالياً).

2/ علاقة الحفصيين بالممالك النصرانية

من الأمور المهمة في العلاقات الحفصية مع دولة بني الأحمر التي ورثت الموحيدين في بلاد الأندلس، هو أن الخليفة الموحيدي على بن إدريس الملقب بالسعيد (640-646هـ / 1242-1246م) قام بقطع المساعدات التي كانت ترسلها الدولة الموحدية إلى دولة المسلمين في الأندلس، وهي دولة بني الأحمر حتى تتمكن من التصدي لهجمات النصارى، فقام مؤسس مملكة غرناطة محمد ابن الأحمر بقطع دعوته للموحيدين، وبإيع السلطان الحفصي أبو زكرياء مقابل الحصول على المساعدات، وبالفعل بعد وصول طلب الدخول في طاعته أرسل أبو زكرياء الحفصي، المساعدات لابن الأحمر .

وفي عام 646هـ / 1246م عندما اشتد الحصار القشتالي على مدينة إشبيلية إحدى المدن الأندلسية المهمة، تم إرسال وفد أندلسي من أهلها للسلطان أبي زكرياء الحفصي يطلب منه العون والمدد للوقوف في وجه الحصار القشتالي للمدينة، إلا أنه مثلما حدث مع أهل بلنسية حدث مع أهل إشبيلية، حيث لم يتمكن الأسطول الوصول إليها، ولاقت مصيرها بالسقوط في قبضة القشتاليين في عام 646 هـ / 1246م.¹

¹ ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة - تحقيق عبد الله عنان، القاهرة، 1974م، ج2، ص

أما العلاقات التجارية بين الدولة الحفصية والممالك الإسبانية المسيحية المتمثلة في مملكة أراجون وبرشلونة وقطلونية وميورقة و بلنسية ، والتي كانت الأوضاع السياسية متحكمة فيها ، فعندما تكون الأوضاع مستقرة تنشط التجارة بين الجانبين الحفصي والإسباني مثل :

- **العلاقات مع أراجون** : بدأت علاقات قوية خلال عهد أبي زكريا أول حكام الدولة الحفصية ولكنها عادت ولم تلبث أن انقطعت العلاقات بسبب القيام بحملة صليبية فما كان من ملك أراجون الا أنه قام بإرسال مبعوث لإرجاع العلاقات ودية لتستمر التجارة بعد ذلك وتتأرجح أراجون بين السلمية والعدائية إما بسبب قرصنة أو صراعات سياسية¹ قد ألفت بظلالها علي التجارة ثم تعود العلاقات مرة أخرى ودية خلال فترة حكم أبي فارس الحفصي من خلال تبادل الهدايا بين الطرفين وسيادة علاقات ودية وصدقة بين الجانبين²

وقد ظهرت برشلونة في بداية الأمر كمملكة غير منظمة تقييم علاقات مع الدولة الحفصية وتأرجح موقفها مع الدولة الحفصية فأصاب العلاقات التجارية الفتور بسبب شخصين من أهل برشلونة قد حدثت منهما تجاوزات ، الأمر الذي أدى إلي توقف العلاقات وتأثرت التجارة تأثراً ملحوظاً جراء ذلك الأمر مما كان له أثره في الإطاحة ببرشلونة وعدم استمرارها في السباقات التجارية، وتأتي بعد ذلك ميورقة التي كان لها علاقات تجارية مع الدولة الحفصية والتي جاهدت كثيراً للوصول إليها وعندما استطاعت أن تثبت نفسها وتدخل في مصاف الدول المتعاملة تجارياً مع الدولة

¹ ابن خلدون : العبر، ج 6، ص 395

² بريشغفك روبر، تاريخ افريقية في العهد الحفصي من ق13-ق15م ج 1 ، نقله الى العربية حمادي الساحلي ،بيروت دار الغرب الاسلامي، 1988، ص54

الحفصية كان ذلك في عهد أبي زكريا الحفصي الذي عاصر خايمي ملك أراجون والمسيطر علي ميورقة والتي استطاعت خلال فترة قصيرة من أن يصبح لها أمير البحر الخاص¹ بها مما جعل أبو زكريا الحفصي يقوم بطرد القطلان من جزيرة ميورقة و كان ذلك لأهميتها الجغرافية في غرب البحر المتوسط الذي كان ذلك سيؤثر علي الحفصيين تجاريا فتم انقطاع الاتصالات ، وفي عهد خلفه المستنصر بالله الحفصي قامت تجارة بحرية نشطة مع ميورقة واستمر الوضع كذلك مع نشاط تبشيري .

وفي عهد السلطان أبي البقاء الذي تولى (709هـ - 1309م - 711هـ/1311م) ظهرت مشكلة قرصنة من جانب المسلمين و التي تم حلها واستمرت الأوضاع الودية مع ميورقة بعد ذلك عن طريق استمرار المعاهدة في عهد السلطان أبي بكر (718هـ/1318م - 747هـ/1346م) ، أما عن قطالونية التي بدأت علاقتها مع الحفصيين في عهد المستنصر بالله الحفصي فكانت علاقات ودية ، و كذا اتسمت العلاقات مع مملكة بنسية كآخر الممالك الإسبانية التي تعقد معاهدات مع أفريقية فكانت في أول الأمر تعمل في تحميل وتفريغ البضائع خارج الموانئ الرسمية ، ثم تعدي دورها من خلال مشاركتها أعمال القرصنة في غرب البحر المتوسط².

2/ علاقة الزيانيين مع مملكة أراغونة

كان الصراع يدور بين البلدين حول جزر البليار وزاد اهتمام الأراغونيين بالنشاطات البحرية، وعلى رأسها التجارة، منذ ضمهم جزيرة ميورقة، والجزر التابعة لها سنة 627هـ / 1229م، فتطلعوا إلى ما يمكن أن تدره عليهم أسواق مختلف مدن إمارة تلمسان من السلع المحلية، أو المستوردة، سيما الذهب السوداني الغربي، فكان ذلك حافزا لهم للالتفات إلى هذه المنطقة .

¹ بريشفنك روبار، نفس المرجع ص 54

² بريشفنك، نفسه

فشجع ملوك أراغونة رعاياهم على النزول في موانئ، ومدن المغرب الأوسط. وعقدوا عدة معاهدات لتنظيم العلاقة بينهم وبين أمراء بني عبد الوادي، الذين فتحوا أسواقهم و فروا الشروط اللازمة لإقامة التجار المسيحيين فيال إمارة الزيانية . وسرعان ما تفوق الأراغونيون على غيرهم من الأوروبيين ، وأصبحوا يشرفون على التجار

الإيطاليين، والفرنسيين، والقشتاليين، في مدن وموانئ المغرب. و أمام هذا التنافس، أراد الأراغونيون السيطرة على طرق التجارة البحرية التي تصل سواحل الإمارة الزيانية بسواحل مملكتهم .وسعوا إلى تحقيق غايتهم في أن يواصلوا حركة الروكنكيستا - الاسترداد - في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، خاصة بعد ضمهم جزر البليار بتشجيع وتأييد من البابا إينوست الرابع (641-863هـ/1243-1458م)¹

لكن سرعان ما اتضح له أن هذه السياسة العدائية لا تدر على الخزينة الأرباح المنتظرة .كما أن أصحاب السفن والتجار لم يستفيدوا منها شيئاً، فتدخلوا في سياسة مملكتهم .مما أدى بأراغونة إلى تغييرها تدريجيا، فأصبحت العلاقة بين بلاده وبلاد المغرب الأوسط مزدوجة، أي تجارية -حربية .فقد كانت السفن تستخدم في الصادرات والواردات، وكان التجار يمارسون القرصنة كلما سنحت الفرصة .وفي 19

جوان 1250 م، أصدر الملك الأراغوني مرسوما يمنع فيه رعاياه من القيام بالقرصنة ضد البلدان المهادنة له، لأنها أضرت بالتجارة . وبين الطرفين تم عقد معاهدات تجارية و اتفاقيات فتبادلا السفراء , بين الطرفين و أقدم وثيقة معروفة إلى اليوم في موضوع العلاقات بين البلدين تتكون من أحد عشر بندا لم يعثر إلا على نصها الإسباني ، تتضمن الثلاثة بنود يختص بمعالجة الجانب التجاري و تقتصر بذكر

¹, Maslatrie (M.L. de), Traités de paix et de commerce avec les Arabes d'Afrique Septentrionale au moyen âge, Paris, 1866, T1,p75

البند الأول: " يتعهد الملك عثمان أن يعطي الملك...أدفونش نصف المداخل التي يحصل عليها من موائنه الحالية) أي التي كانت تابعة له آنذاك والتي ستكون في حوزته مستقبلا،: - ويمنح الملك أدفونش فندقا للمسيحيين في مدينة وهران، وعلى ملك تلمسان أن يدفع نصف مداخل كل الموائى الأخرى التي يملكها و سيملكها ، إلى المشرف الذي يعينه الملك أدفونش في مدينة وهران .وهذا يشمل كل مداخل المسيحيين الذين يصلون مختلف هذه الموائى، وهذا الفندق، الذي منح للملك أدفونش، ليقيم فيه المشرف المذكور، يكون حرا، ومعفى من الضرائب¹.

وقد خصصت بقية بنود المعاهدة للحقوق والضمانات التي يتعهد أمير تلمسان بتوفيرها للحامية أو الكتيبة التي سيبعث بها ملك أراغونة. ومن الواضح أن هذه المعاهدة تمنح امتيازا كبيرا للأراغونيين في إمارة تلمسان دون مقابل، وقد يكون ذلك ناتجا عن الهجوم الذي شنه هؤلاء على سواحل المغرب الأوسط لإظهار قوتهم، وتخويف الزيانيين، ودفع ملكهم عثمان إلى شراء السلم .وبذلك توصلوا إلى فرض هذه المعاهدة . من جانب آخر استمر الخلاف مع بني مرين مما جعل بنو زيان في وضع حرج .

علاقة المرينيين مع الممالك النصرانية

قسمت أملاك الموحيدين بعد ضعفهم بين الحفصيين بتونس وبني عبد الواد بالجزائر أما في الأندلس فقد تقاسم معظم القواعد الإسلامية بها القشتاليون والقطانيون، وبهذا لم يبق للمرينيين سوى المغرب الأقصى الذي ابتداء ظهورهم به أواخر سنة 613/1216 أيام الأمير الأول عبد الحق بن محيو، و بعد جهود

¹ Dhina (Attallah), Le royaume Abdelouadide à L'époque d'Abou-Hammou Moussa 1er et d'Abou-Tachéfine 1er, Alger, 1985, p.206

تأسست الدولة بصفة نهائية سنة 616/1219 في عهد عثمان بن عبد الحق.¹ ، وفي ثاني محرم 685هـ/1286م حيث استولى يعقوب بن عبد الحق على مدينة مراكش هو الحدث الحاسم في قيام دولة بني مرين التي تميزت بسياسة توسعية في المنطقة على حساب بني عبد الواد.² أما العلاقات بين مملكة قشتالة الاسبانية و دولة بني مرين فلم تقتصر على الحروب التي جرت بينهما وإنما تعدتها بإنشاء روابط سلمية بين الجانبين لاسيما المغرب الأقصى ضم كثير من النصارى من مختلف بلاد أوروبا منذ عهد الموحدين على الخصوص، ثم تكاثرت جالياتهم في عهد بني مرين في مختلف نواحي المغرب الإسلامي.

وفي عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق انعقد الصلح النرة الأولى بين المغرب وقشتالة سنة 676هـ و681هـ ثم انعقد للمرة الثانية مع سانشو سنة 684هـ في عهد يعقوب أيضا. ورغم أن الحروب استؤنفت بعد ذلك بين المرينيين ونصارى اسبانيا فلم يمنع ذلك من التعامل بين الجانبين في الميدان الاقتصادي والتجاري. وكان لأبي سعيد عثمان اتصالات دبلوماسية بفرناندو ملك أراغون.³ أما أبو عنان فقد اقترح على ملك البرتغال أن يعقدا حلفا عسكريا ضد قشتالة وأن يجتمعا أسطولهما ببحر

ولما احتل أبو الحسن المريني تلمسان سنة 737 هـ /1337 م عقد معاهدة مع ممثل ملك ميورقة Amalrie de Narbonne في العاصمة الزيبانية في 15 افريل 739 هـ/1339م⁴

وأول ما يمكن ملاحظته على هذه المعاهدة، أنها تختلف عن مثيلتها التي عقدت

¹ابن مرزوق التلمساني محمد د المسند الصحيح الحسن في مآثر و محاسن مولانا ابي الحسن، تحقيق ماريا خوسيس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1401هـ/1980م ص 109، 110، 113.

²ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنوية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة و الوراقة، الرباط 1392هـ/1972م، ص118

³برينشفيك ، المرجع السابق، ج،ص

⁴Maslatie: op. cit., T.1 ,p95-117

بين ملك أراغونة أدفونش الثالث، والأمير عثمان بن يغمراسن سنة 686هـ/1286م في كونها تخلو من التنازلات مهما كان نوعها، ويعود ذلك إلى خلوها من الصبغة العسكرية. وقد نصت عموماً على أن يتردد المسافرون من واحدة من الجهتين إلى الأخرى محمولين على الأمان في نفوسهم، وأموالهم، وأجفانهم، براً وبحراً.¹

المحاضرة 11: تاريخ البحرية في بلاد الغرب الإسلامي

إنَّ البحريةَ الإسلامية في بلادِ المغربِ في عهدِ الأغالبة تعدُّ من الموضوعاتِ الهامةِ الجديرةِ بالبحثِ؛ لما كان لبحريةِ الأغالبة من دورٍ كبيرٍ في فتحِ جزرِ الحوضينِ الأوسطِ والغربيِ للبحرِ الأبيضِ المتوسطِ وجنوبِ إيطاليا، وما تبع ذلك من بسطِ السيادةِ الإسلامية على هذه الجهاتِ ونشرِ الإسلامِ فيها، بل إنَّ بحريةِ الأغالبة بعد نجاحها في غزو هذه المناطقِ وفتحها، ما لبثت أن ورثتِ البحريةَ البيزنطية في السيطرةِ على الحوضِ الأوسطِ للبحرِ الأبيضِ المتوسطِ، كما ورثت عن البحريةِ البيزنطيةِ التجاريةِ النشاطَ التجاريِ البحريِ بين حوضي البحرِ الأبيضِ المتوسطِ الشرقيِ والغربيِ

إن تاريخِ البحريةِ في المغربِ يرجع إلى قبل ظهورِ دولة الأغالبة للقائد و والي إفريقية حسدَّان بن النعمان مؤسس دار الصناعة في تونس، التي أصبحت أولَ دارٍ لصناعة السدُّفن بإفريقية، والتي بنيت فيها أول قوة بحرية إسلامية في إفريقية، يدافعُ بها المسلمون عن شواطئهم غارات الرُّوم، دون الحاجةِ إلى البحريةِ الإسلامية في شرق البحرِ الأبيض المتوسطِ، وفي الفترة الأخيرة من عصرِ ولاة الأمويين والعباسيين في إفريقية اتسم نشاطهم البحري في الدِّفاعِ عن شواطئ إفريقية بالخمول، واقتصر الأمرُ في هذا الصدد على المحارس والأربطة التي كانت مقامةً على شواطئ إفريقية

¹بشاري لطيفة، المرجع السابق، ص 97 .

للدفاع عنها، أن¹ جاء العهد الأغلبي الذي سيجعل² للبحرية الإسلامية في بلاد المغرب الأهمية التي تجعل³ دولة عظمى كالدولة البيزنطية تخشاها وتخاف⁴ منه. أضاف الأغالبة دار صناعة السفن مدينة سوسة، ودار صناعة مدينة طرابلس، ودار صناعة مدينة مسينا في صقلية، بالإضافة إلى دار صناعة جزيرة مالطة، وأخير⁵ دار صناعة جزيرة قوصرة. واهتموا بالتحصينات البحرية الدفاعية على طول السواحل الإفريقي، والتي تتمثل⁶ في المحارس وأولى الأربطة بناها الوالي هرثمة بن أعين بالمنستير في سنة 180 هـ / 796م⁷ فائدت⁸ه ووظائفه بالنسبة لسكان إفريقية، ذلك لتعدت منشآت الأغالبة، منها رباط سوسة تدعيماً لرباط المنستير، و سور سوسة وسور صفاقس.⁹

و تحولت الدولة الأغلبية إلى قوة بحرية، حيث فتحت جزيرة صقلية الأمر الذي أحدث تقدماً في العلاقة الأندلسية . الأغلبية خلال عهد عبد الرحمن الثاني. ويمكننا أن نفترض أن الموقف الأندلسي لم يتسم باللامبالاة إزاء تلك الانتصارات التي حققتها جيوش إسلامية، وأن عبد الرحمن الثاني ربما كان مسروراً بالقوة البحرية الأغلبية، على الرغم من أن في قرارة نفسه، كان قلقاً من نمو القوة البحرية الأغلبية رغم مشاركة بعض الأندلسيين في الحملة على صقلية.¹⁰

- البحرية الأندلسية:

تشرف الأندلس بسواحلها الطويلة على مياه البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي، شرقاً وغرباً وجنوباً، وهذا ما جعلها عرضة في غزو بحري يأتيها من هذه

¹ عبد العزيز سالم و احمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب و الأندلس، بيروت دار النهضة، العربية، 1969، ص41،40

ابن حوقل ، المصدر السابق، ص، 72؛ الرقيق القيرواني تاريخ افريقية و المغرب تق المنجي

² الكعبي، تونس ، الدار العربية للكتاب، ط2، 1426هـ / 2005، ص241 .

³ طقوش ، المرجع السابق، ص 230 .

النواحي. ولا شك بأن المسلمين أدركوا هذه المشكلة منذ أن يسطوا سيادتهم على البلاد، فاتبعوا سياسة بحرية اعتمدت على دور الصناعة القديمة التي كانت منتشرة على تلك السواحل، مثل طلوشة وطركونة ودانية والجزيرة الخضراء وغيرها. ولم يشكل الحصول على المواد الخام لصناعة السفن، مثل الخشب والحديد، أية مشكلة لأنها كانت متوفرة في الطبيعة الأندلسية. غير أن البحرية الأندلسية كانت لا تزال محدودة الإمكانيات والوسائل في عهد عبد الرحمن الثاني، وافترقت إلى القواعد والسفن الكافية لحماية جميع سواحلها لا سيما الغربية منها التي اشتهرت بضعف تحصيناتها.¹

وهذا الاختلال كان واضحاً في هذا المجال، وظل قائماً . حتى تعرضت تلك السواحل المكشوفة والمفتقرة إلى السفن والتحصينات، لهجوم مفاجئ قام به النورمان، فكان لا بد من تقوية البحرية الإسلامية والاهتمام ببناء دور لصناعة السفن، كما أشار إلى ذلك تقرير الغزال، لذلك أمر عبد الرحمن الثاني ببناء الربط، أي الحصون، على طول الساحل منلونة إلى أرقش، وشحنها بالمقاتلة للمرابطة والدفاع عن البلاد إذا تعرضت لأي هجوم، فنشأت بذلك الثغور البحرية الإسلامية في الأندلس²

و تمثلت سياسة الوقائية إلى تقوية بناء الثغور البحرية وإقامة نظام دفاعي على الشواطئ الأندلسية بناء السفن الحربية لحراسة السواحل الغربية، ومراقبة سفن العدو قبل أن تهاجم تلك السواحل. و في هذا الصدد قام عبد الرحمن الثاني ببناء دار

¹شبارو عصام محمد، الأندلس من الفتح العربي المرصود الى الفردوس المفقود. بيروت، : دار النهضة العربية، 2002، ص133، 134

Provençal E.Levi: Histoire de l' Espagne Musulmane ,t1 ,
Paris, maisonneuve &Larose,1999 ,p107 ,111

². طقوش، المرجع السابق، ص227

لصناعة السفن في إشبيلية التي أضحت قاعدة هامة للأسطول الأندلسي في المياه الغربية، وزوده برجال البحر المدربين وبآلات وقوارير النفط، وأغدقت السلطات بسخاء على رجال البحرية ليتفرغوا للدفاع.¹

كما استفادت البحرية الإسلامية مما وضعه يحيى الغزال في تقريره حول مراكز تجمعات النورمان والمسالك البحرية التي يسلكونها للقيام بغاراتهم على الأندلس، فكانت السفن الإسلامية ترصد هذه المسالك وتجول في مياه الأطلسي لحراسة الشواطئ، من جليقية إلى مصب نهر الوادي الكبير، و هذا ما أعاق الهجمات النورمانية في المستقبل²

المحاضرة 12 دور التجار في نقل الأفكار والتقارب الحضاري

ظل الغرب الإسلامي -بما له من مكانة مركزية في حوض البحر الأبيض المتوسط و في العالم الإسلامي سياسيا وحضاريا جغرافيا - قطب التجارة العالمية قرونا عديدة؛ فكانت التجار تأتي إليه بأنواع السلع الضرورية والكمالية من أصقاع العالم المختلفة، فكانت تُستهلك فيه أو تُنقل منه في حركة إعادة تصدير إلى نواحي العالم المختلفة، بل وإلى أقطار الدنيا الأخرى شرقا وغربا وشمالا ومن ملتقيات شبكة الطرق التجارية البحرية قديما -التي كانت تتبدل من عصر إلى آخر تبعا لازدهار التجارة بمنطقة وتراجعها في أخرى - مدن سواحل الأندلس والغرب الإسلامي التي كانت تتدفق إليها أو منها السفن التجارية، فتتجه شرقا وصولا إلى الإسكندرية والفرما ثم شمالا إلى موانئ الشام على سواحل البحر الأبيض،³

¹ السمرائي و آخرون، المرجع السابق، ص132

² محمد مرسي الشيخ المرجع السابق ، 24، 25.

³ ابن حوقل ، المصدر السابق، ص16

وتلخص لنا واقع تلك المسالك التجارية البرية خريطةً طريق "تجار اليهود الراذانية" التي كانت تجمع بين الخطوط البرية والبحرية. ويصف المؤرخ الأميركي ويل ديورانت (ت 1402هـ/1981م) -في تاريخ الحضارة - هؤلاء التجار اليهود بأنهم "كانوا هم حلقة الاتصال التجاري بين بلاد المسيحية والإسلام، وبين أوروبا وآسيا، وبين الصقالبة الشعوب السلافية بشرقي أوروبا والدول الغربية؛ وكانوا هم القائمين بمعظم تجارة الرقيق، وكان يعينهم على النجاح في التجارة مهارتهم في تعلم اللغات".¹

من مهارة التجار وقتئذ، التجار اليهود الذين كانوا "يتكلمون العربية والفارسية والرومية والإفرنجية والأندلسية والصقلبية..، ويسافرون من المشرق إلى المغرب.. -بحرا- يجلبون من المغرب الخدم والجواري والغلمان". و اشتهرت عدة أسواق لبيع الرقيق بالاندلس.² كان هؤلاء التجار يمضون مثلا من فرنسا أو الأندلس بحرا نحو مدينة الفَرَمَ المصرية ومنها برًا إلى البحر الأحمر فجدة، ثم إلى الهند والسند والصين، ثم يرجعون بضاعتهم فينزلون من البحر الأحمر إلى الفَرَمَ ما وينطلقون إلى القسطنطينية. أو يسيرون حتى يصلوا إلى أفرنجة (فرنسا الحالية)، أو ينزلون بميناء أنطاكية (بتركيا حاليًا) ينحدرون مع الفرات إلى الأبُلَّة والبصرة، ثم يكملون عبر الخليج العربي إلى عُمَان وسَدِ يراف، ثم يصلون الهند والسند والصين. وقد أنهت سيطرة الصليبيين على البحر المتوسط -بدءا من أواخر القرن الخامس الهجري/ال11م-

¹ مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول، دار النشر

المغربية، 1986، ص 216؛

Lombard MAURICE : l islam dans sa première grandeur (8è-11è

S), flammariion, ,1971, p 213

² العبادي أحمد مختار، في تاريخ العباسي و الأندلسي، بيروت، دار النهضة

العربية، (د.ت) ص 224.

النشاط التجاري البحري لليهود الرادانية، و ظل نشاطهم في التجارة البرية متواصلا طيلة العصر الوسيط.¹

وفي المغرب الأقصى؛ اعتبرت مدينة سجلماسة -جنوبي بلاد المغرب الأقصى- ملتقى القوافل ومنزل التجار القادمين من أفريقيا جنوبا ومن الأندلس شمالا، بل ومن المشرق فقد سكنها أهل العرقة² كانت مدينة إيو لَاتِن لولاتة -الواقعة اليوم شمال شرقي موريتانيا مركزا تجاريا مهما للتجارة مع الصحراء الكبرى يلتقي فيه التجار القادمون من الجهات الأربع.²

ومع ازدهار التجارة وتوسع حركتها في القرون التالية نجد هذا الحجم يتضاعف بمستوى هائل، وحتى العصور المتأخرة من تاريخ التجارة القديمة في العالم الإسلامي؛ ظلت القوافل التجارية تضم أعدادا ضخمة من الجمال يصل إلى ثلاثة آلاف جمل.³ و تذكر كتب الجغرافيا والرحلات العربية معطيات هائلة عن أوصاف البضائع الواردة من كل بلد والمصدرة منه؛ وهو ما نجد تغطية واسعة له مثلا في كتب: 'المسالك والامالك' رُ دَاذِبَه (ت 280هـ/893م)، و 'البلدان' لابن الفقيه الهمداني، و 'المسالك والممالك' للإصطخري (ت 346هـ/957م)، و 'صورة الأرحلين' ح و قَل التاجر؛ و 'أحسن التقاسيم' للمقدسي البشاري (ت 380هـ/991م). هذا إضافة إلى رحلات كل من السير يرافي (ت بعد 330هـ/942م) لليهودي بنيامين النطيطي⁴ لي وابن جُبَيْر الأندلسي (ت 614هـ/1217م) وابن بطوطة، وكل هؤلاء الرحالة مارسوا التجارة

¹ ابن حوقل، المصدر السابق، ص 76، 77

ابن حوقل، المصدر السابق، ص 91؛ عبد الإله بن مليح الرق في بلاد المغرب و الأندلس،

² بيروت مؤسسة الانتشار العربي، ط1، 2004، ص 213، 219

³³ مريم محمد د عبد الله جبودة، التجارة في افريقية و طرابلس الغرب خلال العصر الموحدوي و

الحفصي، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2013، ص 286، 287

عمليا في أثناء رحلاته باستثناء ابن جبير . كما تقدم هذه الكتب معلومات وافرة عن مراكز تبادل البضائع إنتاجا واستهلاكاً، وإحصائيات لطيفة لأسعار البضائع فيها؛ فالتاجر الرحالة ابن دَوَّال يقول إن من أهداف كتابه 'صورة الأرض' أن يعرّف بما في "الإقليم من وجوه الأموال والجبايات والأعشار والخراجات، والمسافات في الطرقات، وما فيه من المآجال (المستوردات) والتجارات".¹

دور التاجر الحضاري

فقد ظلت القوافل التجارية خياراً آمناً لسفر طلاب العلم والعلماء في رحلات حجهم ولطلب العلم أو نشره؛ فهذا الفقيه والأديب ابن جبير الأندلسي يذكر أنه انطلق في رحلته إلى المشرق "في قافلة كبيرة من التجار"، وفي عودته منها اختار "ركوب البحر مع تجار النصارى وفي مراكبهم المعدة لسفر الخريف!!" ويخبرنا ابن خلدون أنه حين قرر مغادرة وطنه تونس إلى مصر سنة 784/1382م سافر في "سفينة لتجار الإسكندرية قد شحنها التجار بأمعتهم وعروضهم". وكانت جماعة التجار دائماً تضم في صفوفها الكثير من الأدباء والعلماء التجار، ولم يقتصر جلب الكتب على العلماء وطلبة العلم فقط، فقد قام التجار بدور في نقل الكتب من المشرق إلى الأندلس و العكس، وقد كان كثير من التجار من ذوي الاهتمامات العلمية وكانوا يتاجرون ويطلبون العلم في أن واحد.²

تفيدنا تراجم أعلام الإسلام بعدد كبير من التجار الذين جعلوا كسبهم من تجارة الكتب في أسواق الوراقين، محققين بذلك أرباحاً طائلة ومساهمين في نشر المذاهب

¹ ابن حوقل النصيبي ، صورة الأرض، ص5

² العريني يوسف علي، الحياة العلمية، ص127

والأفكار ولعل كان لبعض التجارة في الكتب وسيلة للحصول على المال الذي يحتاجه لنفقته في رحلته.¹

كما غذى هؤلاء التجار -ومن سار في ركابهم من الدعاة والعلماء - مصنفات التراث الإسلامي بكم هائل من المعطيات النادرة في فنون التجارة والاقتصاد والاستثمار، وعلوم والملاحق الجغرافيا ومعتقدات الشعوب وعاداتهم، وطعموا الحياة الثقافية والأدبية بزاد لطيف و طريف من أدب الرحلات وقصص المغامرات؛ فكملاوا بذلك البعد الحضاري في مدونات التاريخ الإسلامي العام.

و للتاجر أدوار حساسة ولذلك كان التجار من الخيارات الدبلوماسية التي كانت السلاطين تلجأ إليها كـ"قنوات خلفية" للحصول على أخبار الدول الأخرى، أو لتكليفهم بمهام دبلوماسية حساسة لدى حكوماتها، ناهيك عن الإسهام التنموي الضخم الذي قدمه التجار في خدمة المجتمعات الإسلامية، من تمويل أوقافهم لمؤسساتها التعليمية والصحية، وإنشائهم لصروح عمارتها الدينية من مساجد وجوامع، ورعايتهم للفئات الضعيفة فيها من فقراء ويتامى و أيتامى، ومشاركاتهم المالية في صد العدوان الأجنبي وفك الأسرى الواقعين في قبضة الأعداء،² بل إن الحركة التجارية الواسعة نشرت اللغة العربية حتى في المجتمعات غير العربية -بل وحتى غير المسلمة- في أوروبا وآسيا وأفريقيا، باعتبار أن اللغة العربية كانت لغة التجارة الدولية؛ فتسربت مئات المفردات العربية إلى لغات العالم، وساهمت المبادلات التجارية في التعريب الطوعي لشعوب ومناطق شاسعة. إن "ارتباط الإسلام بالتجارة كان هو السبب الرئيسي لدخول عدد كبير من شعوب القارة الأفريقية و الآسيوية في الإسلام"³

¹كريم عجيل حسين ، الحياة العلمية في مدينة بلنسية ،بيروت مؤسسة الرسالة،1396هـ/1976، ص 261.

محمد د ماكمان، الرحلات المغربية(ق 11-12هـ / 17-18م) ، مطبعة الأمنية، الرباط، 2014²، ص 314، 315

مختار ذ واجبة ، صفحة تراث - تاريخ الحضارة الإسلامية ، الجزيرة نت

المحاضرة 13 العلاقات السياسية نماذج للسفارات

- العلاقة مع الرستميين

كانت الدولة الرستمية تعيش في منطقة فاصلة بهما إلا مشاعر العداء، لذلك طلب أمراؤها حماية قرطبة، وقد جمعت مصلحة مشتركة تمثلت بالعداء للعباسيين، ورحبت حكومة قرطبة بهذه الخطوة ويبدو أن الدخول في حماية الدولة الأموية في الأندلس كان أحد البنود الرئيسية لنشاط الرستميين، واستمر هذا الموقف الودي بين الطرفين حتى أن قرطبة أبلغت تاهرت بانتصارها على النورمان.¹

أما العلاقة مع دولة الأدارسة في فاس، فكان يشوبها البرودة بفعل تشابه ظروف نشأة الدولتين، إذ إن كلاهما من عرب المشرق ومن الفارين من السلطة العباسية، وربما كان هذا التشابه حافزاً لتجنب الدخول في نزاع مع بعضهما، على الرغم من اختلافهما في المذهب الديني، فقد كان الأدارسة شيعة في حين كان الأمويون من أهل السنة.²

-العلاقات السياسية و نماذج من السفارات

إن صمت المصادر بشأن العلاقة بين الأمويين في الأندلس وبين الدولة الأغلبية، يدفعنا إلى الافتراض بأنه كان بينهما نوع من التجاهل المشترك والحذر الضمني وبخاصة من جانب الأمويين. والواضح أن الأغلبية كانوا شديدي التمهل في قيام علاقات بينهم وبين الأمويين. فالدولة التي أسسها إبراهيم بن الأغلب، حافظت على مظهرها الخارجي وكأنها أحد أقاليم الخلافة العباسية، وما حدث فيها من تغيير تمثل بوجود حكومة وراثية واستقلال مالي؛ أدى إلى أن تمتد إلى إفريقيا أبعاد الأزمة القائمة بين بغداد وقرطبة. فالأمراء الأمويون في الأندلس لا يثقون بالحكام الأغلبية الذين

¹، طقوش، المرجع السابق، ص 328، 230

² ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص220، طقوش، نفس المرجع، ص 326

يدينون بالطاعة لخصومهم العباسيين، يضاف إلى ذلك أن المناطق التي يسيطر عليها هؤلاء بعيدة عن الأندلس ويفصل بينها البحر ودولتا الرستميين و الأدارسة، ولم يكن هناك إلا مجال آخر تمثل في تحول الدولة الأغلبية إلى قوة بحرية، حيث فتحت جزيرة صقلية الأمر الذي أحدث تقدماً في العلاقة الأندلسية- الأغلبية خلال عهد عبد الرحمن الثاني.¹

ويمكننا أن نفترض أن الموقف الأندلسي لم يتسم باللامبالاة إزاء تلك الانتصارات التي حققتها جيوش إسلامية، وأن عبد الرحمن الثاني ربما كان مسروراً في قرارة نفسه، غير أنه كان قلقاً من نمو القوة البحرية الأغلبية، على الرغم من أن بعض الأندلسيين شاركوا في الحملة على صقلية.

العلاقة الأندلسية- البيزنطية:

كان للاستقرار النسبي للوضعين العسكري والسياسي، بين المسلمين في الأندلس والكارولنجيين الفرنجة في غالة، أثر كبير في قيام نوع من العلاقات السياسية غير الواضحة بين القوى في العالمين الإسلامي والنصراني.² وكان "ببين"، ملك الفرنجة، أول من سلك هذا المسلك حين شعر بقوة الدولة الأموية في الأندلس والنفور الذي قام بينها وبين الخلافة العباسية في المشرق، فأرسل سفارة إلى بغداد من أجل هذه الغاية، وقد رحب الخليفة أبو جعفر المنصور بهذه الخطوة السياسية وبادله السفارة ليعقد معه تحالفاً غير واضح المعالم ضد الإمارة الأموية في الأندلس، والمعروف أن القوى السياسية في كل من العالمين الإسلامي والنصراني كانت آنذاك تتنافس بعضها بعضاً، وقد توزعت على أربعة معسكرات هي الخلافة العباسية المناهضة للإمارة الأموية في الأندلس، والامبراطورية البيزنطية الكارهة للامبراطورية الكارولنجية منذ أن نادي

¹ المقري، المصدر السابق، ج1، ص364؛ طقوش المرجع السابق،، ص230، 231

² المقري، نفس المصدر ج1، ص364.

ملكها بنفسه إمبراطورا، وأضحى كل معسكر من تلك المعسكرات الأربعة يبحث عن حليف تتفق أهدافه مع آماله.¹

كان من الطبيعي، إزاء هذا التفكير السياسي، أن تميل الخلافة العباسية إلى دولة الفرنجة التي تعادي كلاً من الإمارة الأموية في الأندلس والإمبراطورية البيزنطية، وفي الوقت نفسه، تطلعت الإمارة الأموية للتعاون مع بيزنطية التي تعادي كلاً من دولة الفرنجة والخلافة لعباسية التي كانت تغزو أراضيها باستمرار بالإضافة إلى انتزاع حلفائها الأغلبة جزيرة صقلية منها، وأضحت المصالح توجه العلاقات السياسية بين القوى السابقة الذكر، لكن بدون أن تتطور إلى تبادل التمثيل السياسي الذي لم يكن معتمداً في ذلك الوقت من القرون الوسطى.²

وكان الوضع مقتصرًا على نشاط السفراء الذين تنتهي مهمتهم بانتهاء رسالتهم وعلى هذه القواعد البدائية تبادل الخليفة هارون الرشيد وشارلمان السفارات، بهدف عزل الإمارة الأموية في الأندلس، والحد من أطماع حكامها في التوسع على حساب الدولتين العباسية والكارولنجية لم تقف الدولتان الأموية والبيزنطية موقف المتفرج إزاء هذه الاتصالات السياسية بين العباسيين والفرنجة، فعمدت كل منهما إلى انتهاز الفرص المؤتية لإيجاد نوع من التفاهم والتحالف بينهما.³

وحدث في عام (223 هـ / 838 م) أن تعرض الامبراطور البيزنطي تيوفيل لضغط عسكري من جانب الخليفة العباسي المعتصم الذي غزا عمورية في عمق آسيا الصغرى، وظل يخشى انتقامه، بالإضافة إلى ما جرى من توغل الأغلبة في جزيرة صقلية، وما أنزله المسلمون الأندلسيون الربضيون في جزيرة كريت بالامبراطورية من

¹ سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 231

² المقري، المصدر السابق، ج 1 ص 333؛ شبارو، المرجع السابق، ص 111، 113

³ المقري، المصدر نفسه

هزائم عند سواحل آسيا الصغرى، حيث اقترب خطرهم من العاصمة القسطنطينية،¹ ما جعله يعتقد أنه لا قبل له بقوة المسلمين المتزايدة، فقرر أن يلتمس المساعدة من الخارج، فتوجه أولاً إلى القوى النصرانية في أوروبا، فأرسل سفارتين، بفارق زمني لعدة أشهر. توجهت السفارة الأولى إلى الملك الكارولنجي لويس الثاني على الرغم من النفور الظاهر بينهما.

وتوجهت السفارة الثانية إلى البندقية، لكنه لم يحصل على أي نتيجة، فتوجه عندئذ إلى الأمويين في قرطبة. فأرسل في عام (225 هـ / 8 م) 40 سفارة إلى العاصمة الأندلسية برئاسة قرطوبوس، وهو من أصل يوناني يجيد اللغة العربية، وحمّ له هدايا إلى الأمير الأموي، و الرسالة تتضمن البنود التالية:

-طلب منه عقد معاهدة صداقة وتحالف. أعداء طبيعيين -

-حرضه على استعادة ميراث أجداده في المشرق الذي اغتصبه العباسيون - .

تمنى عليه انتزاع جزيرة كريت من الرضيين وإعادتها إلى بيزنطية ..

ألقى باللوم على عدوانية العباسيين وأتباعهم الأغلبية على كل من البيزنطيين والأمويين. استقبل عبد الرحمن الثاني السفارة البيزنطية بحفاوة بالغة وأثنى على الهدايا التي بعث بها تيوفيل، كما عبر عن شعوره بالفخر حيث ينظر إليه على أنه عاهل قوي ويحظى بالاحترام، ويراعى جانبه في اتخاذ القرارات الحاسمة، ثم ردّ على رسالته برسالة حملها السفير يحيى الغزال،² عبر فيها عن:حنقه على العباسيين، وتمنى أن تهياً العناية الإلهية للأسرة الأموية في الأندلس الانتقام لنفسها منهم. ولكن بدون أن

¹ محمد د سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 231

²المقري، المصدر السابق، ص 333

يرتبط حرصه على التعاون، وأنه سوف يرسل إليه أسطولاً حين تهدأ الأمور في بلاده،
معه في محالفة عسكرية.¹

المحاضرة 14 العلاقات العلمية تنقل الطلبة والكتب

- الرحلات العلمية :

لقد أخذ علماء المسلمين من الرحلات و الأسفار بين مراكز العلم في العالم الإسلامي عادة حميدة و سنة كريمة للصعود بالعلوم و اكتساب المعارف و قد تولد عن ذلك نشاط علمي باهر في الدولة الإسلامية ، فالرحلة العلمية من سمات التطور الحضاري و التفوق العلمي² .

و الجدير بالذكر أنه كان لموقف الإسلام من العلم و الحث على طلبه و السعي إليه أثر في اهتمام المسلمين بالرحلات العلمية فقد روى عن الرسول ﷺ أنه قال " من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله له به طريقاً إلى الجنة " و قال عليه الصلاة والسلام " لأن تغدوا فتتعلم باباً من العلم خير من أن تصلي مئة ركعة " و في حديث آخر " اطلبوا العلم و لو في الصين " ³ .

¹ محمد د سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 232

² - معد عبد الله ، "صالح البشري الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس 316 هـ - 422 م / 928 هـ - 1030م" رسالة ماجستير منشورة ، الملكة العربية السعودية، 1981 م ،ص 91 .

³ - أبو حامد الغزالي، إحياء العلوم الدين ، ج 1 ، دار ابن الحزم ، ط1 ، لبنان ، 2005 م ، ص ص 15 16 ، الحديث الأول أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ، و الثاني أخرجه ابن عبد البر من حديث أبي زر ، و الثالث أخرجه ابن عدي و البيهقي ، نفس المصدر و الجزء ص 15

رحل الأندلسيون و المغاربة في بداية نشاطهم العلمي في طلب العلوم الدينية إلى المدينة بصفة عامة باعتبارها مركز هذه العلوم ، و كان الحج إلى مكة يمثل هدفا دينيا لأداء هذا الركن الإسلامي من جهة و طلب العلم من جهة أخرى.

و لما اتسعت دائرة الأشغال بالعلوم الأخرى كالرياضيات و الفقه و الفلسفة و الطب و غيرها إتجه المعنيون بها إلى بغداد مركز هذه العلوم و محور نشاطها آنذاك إذ كانت تمثل بوتقة انصهرت فيها تيارات علمية مختلطة من نتاج حضارات آخر (اليونان و الهنود و الفرس) إضافة إلى ما أضافه علماء المسلمين من إنتاج فكري قيم.

كما توجهوا نحو القيروان التي كانت حاضرة علمية ثم منها إلى مصر حيث مدينة الإسكندرية و إلى جانبها مدينة الفسطاط و من مصر تنتشعب أفواج العلماء الغرب الإسلامي لتكون في اتجاهين إلى الحجاز لمن يطلب العلوم الدينية و إلى العراق لمن يرغب في دراسة علوم أخرى.

كانت لهذه الرحلات العلمية نتائج هامة فبعد تلقيهم العلم من شيوخ و علماء المشرق كانوا يشدون رحالهم لوطنهم ليبيثوا ما توصلوا إليه من علم و معرفة⁽¹⁾.

و هناك نماذج عديدة من الرحالة من علماء الأندلس فقد كانوا أكثر الناس رحلة إلى المشرق و أصبح هذا دينهم حتى لو تصفحنا كتب التراجم لوقفنا على مدى عنايتهم بذلك فلا تخلو سيرة أي منهم من الارتحال في طلب العلم متى عرف ذلك عنهم و وصفهم المقدسي بقوله " يحبون العلم و أهله و يكثرئون التجارات و التغرب"².

¹ الغزالي، المصدر السابق ، ص 95 .

² المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مكتبة مديولي ، ط3 ، (مصر ، 1991 م) ، ص

و لما حقق الأندلسيون كيانهم العلمي أصبحوا في موقف العطاء و البذل العلمي ، و كانت تحدث موجات رحيل معاكسة فيرحل بعض علماء المشرق إلى الأندلس لينشروا علومهم هناك و ليبلغوا بذلك الجاه و المنزلة عند السلطان. و يأتي في مقدمتهم العلامة ساعد بن الحسن دخل الأندلس (380هـ - 990م) و قد أسهم في الدراسات الأدبية و اللغوية في الأندلس.

و من كبار العلماء الوافدين على الأندلس ، المحدث عبد الرحيم ابن تميم البخاري (382 هـ - 471 م) الذي عده العلماء في طبقة ابن حزم و ابن عبد البر النصري و وصفه المقري (الذي أعتقد أنه لم يدخل من أهل المشرق أحفظ منه للحديث و هو ثقة عدل) ¹ .

أنه سمع من شيوخ الأندلس و كفى بذلك شهادة على الازدهار العلمي للأندلسيين و كيف أنهم أصبحوا في موقف العطاء العلمي ² .

و قد أورد المقري بابا ضمنه أبرز علماء المشرق الوافدين إلى الأندلس فقال " أعلم أن الداخلين إلى الأندلس من المشرق قوم كثيرون لا تحصر الأعيان منهم ، فضلا عن غيرهم ،ومنهم من اتخذها وطنا ، و صيرها سكنا إلى أن وافته المنية و منهم من عاد إلى المشرق بعد أن قضى في الأندلس منيته" ³ .

هذا يوضح ما كانت عليه الأندلس من نشاط علمي يجذب العلماء من خارج الأندلس للمشاركة في نهوض الحركة العلمية كما يدل على ما تميزت به قرطبة حاضرة الخلافة الأموية و تقديرها و عناية بالعلم و العلماء خاصة الخليفة الحَكَم المستنصر

¹ - المقري ، نفح الطيب ، ج 3 ، ص 63 ، 64 .

² - صالح البشري ، الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس، ص 101.

³ - المقري، نفح الطيب ج3، ص 5 .

و هنا يتبين لنا بوضوح ما نجم عن الرحلات العلمية من آثار و نتائج علمية كبيرة للأندلسيين حيث تمكنوا من صنع كيانهم العلمي ، فكان عصر الدولة العامرية درة مضيئة في جبين التاريخ الأندلسي تشهد لأهله بزوغهم العلمي و بقدرتهم على إثبات ذاتهم في ميدان الحضارة الإسلامية¹ .

صارت تلمسان حاضرة في عهد بني زيان من المراكز التي تستقطب الطلاب وأهل العلم، لأنها تفسح لهم مجال العمل ونشر العلم والأحكام الإسلامية، فاستقبلت في هذه الفترة العديد من الوافدين عليها شرقا وغربا² وتضاعف التحصيل وتوسعت التيارات الفكرية المتعدد في عقول النخبة من أهل تلمسان وبرز فيها علماء تميزوا بعمق التفكير و غزارة التحصيل، وكانت لهم مساهمات حادة في النهضة العلمية والحركة الفكرية في حواضر المغرب والأندلس والشرق.³

ويتضح هذا التأثير الثقافي الفكري من خلال فقهاء والأدباء التلمسانيين الذين تزودوا بمعارف المشرق ثم عادوا إلى بلادهم، ومن المؤلفات المختصرات المشرقية والأندلسية التي كانت ترد إلى حواضر المغرب وعواصمه، لتدريسها على طلبة المدارس المغربية نذكر على سبيل المثال "مختص ابن الحاجب في الأصول والفروع" أتى به أبو علي الناصر الدين المشدالي من بجاية وقرره على طلاب مدارس⁴ ، فقد دخلت كتب كثيرة عبارة عن شروح

¹ - صالح البشري، المرجع نفسه ، ص 112 113.

² ابن مريم، الشريف المليتي التلمساني: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مرا:محمد بن أبي شنب، 1326هـ-1908م ، ص 119.

³ هادي جلول، المرجع السابق، ص 83.

⁴ المقري، المصدر السابق، ج5، ص 221.

تنقل الكتاب

يعد الكتاب بما يحويه من علم . من أهم الأسس التي تقوم عليها أية نهضة علمية أو فكرية ، ولهذا اهتم الأندلسيون بالمكتبات لما لها من دور في نشر العلم و المعرفة . وحرصوا على تزويد مكتباتهم بكل ما يقع تحت أيديهم من كتب . وكان لهذا الشعور العام الذي تمثله العناية بالمكتبات أثره في سريان الرغبة في جمع الكتب حتى بين عامة الناس ممن ليسوا من العلماء أو طلبة العلم ،

يروى محمد بن عبد الملك بن سعيد (ت : 589هـ) عن الحضرمي

: « أقمت مرة بقرطبة ولازمت سوق كتبها مدة أترقب فيها وقوع كتاب كان لي بطلبه اعتناء ، إلى أن وقع وهو بخط جيد وتسفير مليح ففرحت به أشد الفرح فجعلت أزيد في ثمنه ، فيرجع إلي المنادي بالزيادة على ، إلى أن بلغ فوق حده قلتله : يا هذا أرني من يزيد في هذا الكتاب حتى بلغه إلى ما لا يساوى . فأراني شخصا عليه لباس رياسة فدنوت منه ، وقلت له : أعز الله سيدنا الفقيه أن كان الغرض في هذا الكتاب تركته لك فقد بلغت به الزيادة بيننا فوق حده فقال لي لست بفقيه ولا أدري ما فيه ، ولكني أقمت خزانة كتب ، واحتقلت فيها لأتجمل بها بين أعيان البلد ، وبقي فيها موضع يسع هذا الكتاب فلما رأيت حسن الخط جيد التجليد استحسنته.¹

وهذه القصة الطريفة لا تخلو من معلومات قيمة تشير إلى وجود سوق خاص بالكتب في كل مدينة أندلسية فيها ما يدلنا على حرص العلماء على الكتب وشغفهم بها ، فالحضرمي بلغ به الفرح غايته ؛ لأنه وجد كتابا يحتاجه ، قضى مدة في البحث عنه ، وكأنه يبحث عن ضالة ، ولكنه . لضيق ذات اليد . لم يظفر به ، وفاز به من لديه

¹المقري : نفع الطيب ، ج 2 ، ص 335

المال ، ولكنه لا يعرف القيمة العلمية لهذا الكتاب ، وانصرف الحضرمي حزينا ، وكأنه فقد عزيزا عليه. وحرص العلماء الأندلسيين ، على اقتناء الكتب تعدى الحدود¹ فربما خرج الواحد منهم بالدرهم والدرهمين ليشتري به قوتا لنفسه وعياله ، فيصادف في طريقه كتابا يباع فيشتريه ، ويرجع بالكتاب بدلا من الطعام ، ويبقى هو وعياله طاوين إلى أن ييسر الله المال لشراء الطعام ، وقد تتكرر القصة مع هذا المال مرة أخرى.²

و كان لهذا الحرص أثره في انتشار المكتبات في الأندلس ، وأصبح الحصول على الكتاب . سواء بالشراء أو الإعارة أو الإهداء . سهلا وميسرا فلقد تعددت موارد الكتاب ، كما ازدهرت الحرف التي تعنى بالكتاب نسخا وتجليدوا إنشاء لأوعيته ، وسنتحدث عن ذلك فيما يخص اهتمام الأندلسيون بالحصول على الكتب من أي مصدر كان ، ولذلك فإن الدارس يجد أن المكتبات في الأندلس زودت بالكتب من مصادر عدة حيث أسهم الأندلسيون بإنتاجهم العلمي في تزويد المكتبات بالجديد والأصيل من المؤلفات ؛ فلقد طرقت بمؤلفاتهم جميع فروع المعرفة فألفوا في علوم القرآن والحديث والفقه ، واللغة ، والتاريخ ، والجغرافيا ، كما تناولت مؤلفاتهم العلوم الأخرى كالطب والحساب والهندسة والفلاحة والفلك إلخ³

ويكفينا لتبيان غزارة الإنتاج العلمي - تصفح كتاب التكملة لابن الأبار أو الذيل والتكملة لمحمد بن عبد الملك المراكشي ، إذ نجد أنفسنا أمام موسوعات علمية ألف الواحد منهم في جميع فروع المعرفة . وإذا حاولنا البحث عن تفسير لهذه الظاهرة ،

¹المقري : نفع الطيب ، ج 1 ، ص 463، العريني، الحياة العلمية في الأندلس،ص123

² عبد الواحد المراكشي، المصدر السفر1، ص 229 ، العريني ، نفس المرجع، ص 124

³محمد بن عبد الملك المراكشي ، نفس المصدر ، السفر الأول ، القسم الأول ، ص229

وهي ضخامة الإنتاج العلمي وتنوعه فلن يعجزنا ذلك ، فالمجتمع الأندلسي رجاله ونساؤه يقرأ ويهتم بالعلم ، ويتابع كل جديد في ميادين العلم المختلفة.¹

تنقل الكتاب محليا

إن العلماء فقد كانوا حريصين على أن لا تقتصر الاستفادة منهم على طلابهم الذين يحضرون حلاقاتهم، بل يحاولون نشر مؤلفاتهم تبليغ علمهم للقاصي والداني من طلبة العلم ، وقد كانوا يحرصون على تزويد طلبة العلم بمؤلفاتهم.² فهذا أبو الربيع سليمان ابن موسى الكلاعي (ت : 634 هـ) يكتب أبا الحسن علي بن محمد الرعيني (ت : 666 هـ) ويبعث إليه بمؤلفاته على الرغم من أن الأول يقيم في شرق الأندلس والآخر في غربها.³

وبالإضافة لما سبق ذكره فإن رجال الدولة في الغرب الإسلامي كان لهم جهد بارز في تشجيع التأليف والعمل على نشر الكتاب ، مثل الخليفة الأموي الحاكم المستنصر و المنصور الموحيدي (580 . 595 هـ) ، و يغموراسن و أبو حمو موسى الثاني الزياني و حكام آخرون كانوا يجلبون العلماء ويكرمون وفادتهم أمثال "أبو بكر محمد بن عبد الله بن داوود بن الخطاب من أشهر كتاب يغموراسن يتابعون حركة التأليف ويسألون عن المؤلفات الجديدة⁴ ، ويأمرون بنسخ كل كتاب يصدر و إيداعه في

¹ عبد الرحمن الحجي، الكتب والمكتبات في الأندلس مقال مجلة كلية الدراسات الإسلامية ببغداد العدد الرابع 1392 هـ / 1972 م ، ص 367

² الرعيني ، الحياة العلمية ، ص 125

³ الرعيني، برنامج شيوخ الرعيني، تح ابراهيم شيوخ، دمشق، وزارة الثقافة و الإرشاد، 1962 ص 67

⁴ التتسي : محمد بن عبد الله ، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان " مقتطف من نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان "، تح . محمود آغا بوعبيد، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 2011، ص ص 126، 125، 127.

خزائنهم.و كان هذا الاهتمام بجمع الكتب لدى الخلفاء والأمراء باعثا على حرص العلماء على إهداء ما يؤلفونه لهم لإيداعه في خزائنهم وأخيرا فإن ازدهار الوراقة وكثرة النساخ ، كان عامل آخر ساعد على سهولة الحصول على الكتاب وسرعة تداوله بين طلاب العلم ، و ننوه بأهمية الدور الذي قام به الوراقون والنساخ في الحياة العلمية¹

جلب الكتب من المشرق

لما كانت البلاد الإسلامية مشرقها ومغربها تمثل وحدة ثقافية وفكرية ، فقد كانت الأفكار والكتب تنتقل بين أقاليم العالم الإسلامي بحرية تامة متجاوزة الحدود السياسية المصطنعة. أسهم الرحالة الأندلسيون خاصة و المغاربة عامة، من علماء وطلاب بدور كبير في نقل الكتب من المشرق إلى الأندلس ، إذ في الغالب أن يرحل العلماء وطلاب العلم إلى المشرق ويزورون عددا من المراكز العلمية هناك ، ويأخذون عن علمائها ويحصلون على إجازاتهم في رواية ما ألفوه ، ثم يعودون إلى بلدانهم بهذه المرويات والإجازات التي أخذوها عن شيوخهم، ولاشك أن هذه الكتب ستكون أكثر ضبطا ودقة والثقة بها أكبر.²

¹ يحيى بن خلدون :أبي زكريا ابن أبي بكر محمد بن محمد بن محمد بن الحسن(ت 960 هـ)، بغية الرواد في ذكر، الملوك من بني عبد الواد، ج6 ،، تق .وتح .عبد الحميد حاجيات، عالم المعرفة للنشر والتوزيع الجزائر، 2011، ص 510 .

²محمد ماهر حمادة : المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها ومصائرها ، الطبعة الخامسة بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1407 هـ) ، ص 191 ،العريني ، المرجع السابق، ص 126

ونظرا لأن العائدين من المشرق كانوا يدرسونها لطلابهم فإن انتشارها في الأندلس كان أوسع ، وتداولها طلاب العلم فيما بينهم. ومن علماء الذين أدخلوا عددا من الكتب المشرقية إلى الأندلس نذكر: وأحمد بن أحمد بن خلف الحضرمي (ت : 634) أبو بكر محمد بن أحمد الكناني (ت : 608هـ) تصاحب هذان العالمان في رحلة علمية إلى المشرق ، وعادا بكتب لا عهد لأهل الأندلس بها استنساخها هناك ، ولكي ينسخا بها أكثر في وقت أقصر ، فقد اتفقا أن ينسخ كل واحد منهما غير ما ينسخه الآخر ، حتى إذا وصلا الأندلس أخذ كل منهما ما فاته من الآخر ، وقد جلبا في هذه الرحلة عددا من الكتب أهمها : كشف الزمخشري ، وصاحح الجوهري الشرح السنة للبغوي¹

كما رحل عيسى بن سليمان الرعيني (ت : 632هـ) إلى بلاد المشرق وأقام ما يفوق عن عشرين كتابا ، وعندما عاد جلب كتبا كثيرة مما لم يكن دخل الأندلس.²

- جلب الكتب من غير المسلمين

تعرض المسلمون . إبان فترات ضعفهم . سواء في مشرق العالم الإسلامي أم في مغربه لهجمات صليبية ، وأدى ذلك إلى سقوط بعض المدن والأقاليم الإسلامية ، و اتبع ذلك وقوع أعداد كبيرة من المصنفات والكتب في أيدي النصارى ، ولاشك أن بعضا من هذه الكتب أخفيت ولم تطاولها يد الحرق أو التدمير ، وبالإضافة إلى ذلك فقد كان النصارى يحتفظون في كنائسهم وأديرتهم بكتب قديمة سواء في الطب أم الفلك أم الفلسفة إلخ ، ومن هنا حرص المسلمون على الحصول على هذه الكتب إسلامية كانت أو غير إسلامية المسلمين يحصلون على الكتب كهدايا من النصارى.³

¹محمد بن عبد الملك المراكشي : المصدر السابق ، السفر الأول ، القسم الأول ، ص 29

²ابن الزبير المصدر السابق ، ص 51

³الرعيني ، المرجع السابق ، ص، 128

وكان الإهداء إحدى الوسائل للحصول على الكتب ، فقد كان بعض الأمراء المسلمين يحصلون على الكتب كهدايا من النصارى كما اتبع العلماء أسلوب المقايضة للحصول على الكتب ، حيث يبعثون بالسلع التي يحتاجها النصارى ويبيعونهم هذه السلع مقابل الكتب .

من ذلك ما فعله محمد بن سعيد بن مدرك الغساني المالقي (ت : حوالي 570 هـ) فقد كان شديد العناية باقتناء ذخائر الكتب ، « واجتمع لديه منها ما لا شيء فوقه كثرة وجودة » ويقال إن السبب في حصوله على هذه الكتب أن مجاعة حدثت في بعض بلاد النصارى ، فبعث إلى تلك البلاد مركبا كبيرا محملا بالطعام وأوكل على هذه الحملة شخصا من قبله ، ذا معرفة بالكتب ، بصيرا بانتقائها ، وأوصاه ألا يبيع شيئا من هذا الطعام الا بالكتب . فجلب له الكثير نواذر الكتب ما لم يستطيع الحصول عليه من معاصره .¹

¹ ابن عبد الملك المراكشي ، المصدر السابق ، السفر السادس، ص213 .

المحاضرة 15: تنقل الأفراد والهجرات

شهد الغرب الإسلامي حركة تنقل الأفراد و الجماعات من حين لآخر. ،وفود العرب المشاركة إلى المغرب في مرحلتي الفتح الولاية بالأندلس و في عهد الإمارة الأموية. و البربر إلى الأندلس مع الفتح الإسلامي للبلاد كهجرة القبائل المغربية سواء أفراد أو جامعات لأسباب سياسية أو ظروف اجتماعية مثل هجرة بعض أفراد قبائل بني زيري للأندلس لظروف سياسية و مذهبية و استقرارهم بها . و تختلف نوع الهجرة باختلاف دوافعها و أغراضها و اتجاهاتها. فرحلة الأفراد و الجماعات المغربية إلى المشرق أكثر من رحلة المشاركة إلى المغرب و ذلك بحكم زيارة البقاع المقدسة و طلب العلم بالدرجة الأولى.

سهل التعاون والتقارب السياسي والتجاري بين الدولة الأموية في الأندلس و بلاد المغرب في إنشاء العديد من المدن والثغور والموانئ من طرف الملاحين الأندلسيين¹ ومن أمثلة على هجرات الأفراد نذكر مثلا أسرة بني حمدون الأندلسية التي انتقلت من الأندلس سنة 269هـ/888م واستقر حمدون في بجاية و استمرت إلى غاية القرن 4هـ/10م حيث كان لها بالمسيلة دور فعال في عهد العبيديين .² و من إسهام الأندلسيين و المغاربة في أدب الرحلة نذكر على سبيل المثال و ليس الحصر بعض مشاهير الرحلة التي لا يزال تراث الغرب لإسلامي يحتفظ به مثل . رحلة أحمد الشريف المقرئ للمشرق، و رحلة القلصادي للمغرب ثم المشرق و رحلة ابن بطوطة للمشرق و يعد القلصادي أحد العلماء الذين تمكنوا من تكوين

¹بجاز إبراهيم بكير، الدولة الرستمية(160-296هـ/777-909م) دراسة في الأوضاع

الاقتصادية والحياة الفكرية"، ط5.، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1993، ص387

²ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج2، ص 242، 243.

شخصيته العلمية¹ " كما ترجم السخاوي لعدد كبير من العلماء المغاربة منهم علماء المغرب الأوسط الذين هاجروا إلى المشرق طلبا للعلم و منهم من عادوا إلى مواطنهم²

وترتفع وتيرة تنقل الأفراد و هجراتهم بالأخص فرارا من الظروف السائدة في بيئتهم الأصلية . فمثلا اضطهاد النصارى لمسلمي الأندلس كان دافعا قويا لفرار عدد كبيرا من الأندلسيين لبلاد المغرب أفرادا وجماعات. وجد الأندلسيون بسواحل المغرب مستقرا لهم لقربهم من السواحل الأندلسية و كانت لهم بعض الإسهامات في إعادة إحياء بعض مدن الموانئ المغربية و ساهم هذا الوافد الجديد بقدر كبير في إثراء البنية الاجتماعية والتأثير بشكل واضح في شؤون الحياة والسياسة، بحكم الانفتاح الذي أبداه خاصة سلاطين الدولتين الأندلسية³.

و كان هؤلاء الوافدون من أهل الأندلس أصحاب مال وصنائع وثقافة تقوى قوا على سواهم في العلوم بصفقاتهم وفي الفنون والآداب بصفقتهم ، ونالوا مكانة متميزة في الوسط الاجتماعي وجلبوا اهتمام السلاطين والحكام ومن الأسر الأندلسية التي اشتهرت بأدوارها بنو الملاح القرطبيون الذين نزلوا بتلمسان فاتخذهم لطان أبو حم و موسى لأول (708 - 718 هـ / 1308 - 1318 م) أمناء على بيت المال وفوض إليهم ضرب السكة من دنانير ودرهم ، وأسند لهم مناصب سلطانية كوزارة المال والحجابه ، لما يتمتعون به من خبرة و نزاهة فبرز منهم عدد من الوزراء نذكر منهم محمد د بن ميمون بن الملاح الذي جمع بين الوزارة و الحجابه في آن واحد ، محمد د الأشقر بنهم د بن ميمون بن الملاح ، إبراهيم بنهم د بن ميمون وهو

¹ ابن مريم، المصدر السابق، ص 67

أسخاوي شمس الدين محمد د، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج 6. ، دار الجيل، بيروت، 1992

المقري ، رحلة المقري للمغرب و للمشرق تحقيق محمد د، مكتبة الرشاد للطباعة و النشر و التوزيع

³، الجزائر، 2004، ص 140

حفيلو¹ وزيليس² لطان أبيجم³ وولي⁴ بن عبد الله بن الملاح⁵ ، ومن الأسر النازلة بتلمسأل⁶ ضد آل الأبي الذين استعملهم لطان يغمراسن في قيادة الجيش وإدارة المعارك. وبرز منهم والد أبو عبد الله⁷ د إبراهيم بن أحمد الأبي الذي كان قائداً بهنين مرفاً تلمسان العسكري وقد وظّف عددًا من الكتاب من أصل أندلسي⁸ من بينهم : الفقيه أبو بكر محمد⁹ د بن عبد الله بن داوود بن خطّاب الغافقي المرسي¹⁰ . إلى جانب المراتب الإدارية والمناصب لطنية التي تعكس مكانتهم لدى الأسرة الحاكمة، فقد اندمج الكثير منهم في المجتمع وشاركوا في المهن المختلفة ، فسكن بعضهم البوادي واحترفوا وأتقنوا أساليبها ، فغرسوا الأشجار وأقاموا البساتين ، واختص¹¹ آخرون في بناء و تجديد المدن الساحلية وإعادة بناء الموانئ في حيراتج¹² ه بعضهم نحو التجار¹³ ناعات الحرفية المختلفة، و عموماً أن الأندلسيين أدخلوا في هذين القطاعين من النشاط¹⁴ و أوطر¹⁵ قاً جديدة¹⁶ .

لقد كان للهجرة الأندلسية أثر واضح في النهضة العلمية والثقافية التي شهدتها المغرب عامة و الأوسط من خلال إسهامات العلماء الوافدين ودورهم في تفعيل الحياة العلمية والفكرية على رغم من تدهور الأوضاع الاجتماعية والسياسية، إذ اشتغلوا بالتدريس فكونوا خلفاءهم من العلماء والأئمة، وشاركوا في التأليف فتركوا تراثاً علمياً زاخراً

و كانت حملات الاضطهاد والمتابعة التي استهدفت سكان الأندلس من المسلمين واليهود مع نهاية (8 هـ / 14 م 9 هـ / 15 م سبباً في تدفق عدد كبير من اليهود

¹ فيلالي، المرجع السابق، ص 249

² فيلالي، نفس المرجع ، ج 2، 330

³ هوارى موسى، دو الرحالة الأندلسيين في إعادة بناء المدن الساحلية بالمغرب الأوسط، مجلة الدراسات التاريخية الدراسات التاريخية، مج 10، ع 1، 2022، ص 140.

على الملئ أحلياً وأندلساً أخلياً للمغرب الأوسط وبيدؤن القادمين الجدد قد حظوا برعاية الحكام لولس كان المسلمين.¹

فيما يخص الجاليات اليهودية فمنحت لهم الحرية التآقر هالشذرع الإسلامي في ممارسة شعائرهم الدينية وأنشطتهم التجارية، و لهم مالضمان والأمان ما يكسبهم حقوق الرعايا ويلزمهم بواجبات مماثلة، إلا إذا نقضوا العهد. وفي مقابل ذلك يلتزمون بدفع الجزية كشرط من شروط عقولدم وتقدر بأربعة دنانير، أو أربعين درهماً بالولثن رعي عن كل شخص في كل عام.²

ويلاحظن هؤلاء اليهود المهاجرين قد نقلوا إلى بلاد المغرب علاوة عن ثقافتهم الدينية وعاداتهم وأخلاقهم، ما اكتسبوه من مميزات الحضارة وعامة في المجتمع الأندلسي الإسلامي، فكان منهم من بلغ درجة كبيرة في العلم والآداب كما كان منهم طباة وتجار وصيداع، وأصحاب حرف، وفنون،³ فالصياغة والصيرفة لم تكن بيد المغاربة المسلمين فيل الأمر، ولم تكن لهم كذلك مهارة كبيرة في صنع الأقمشة والملابس النسوية على الخصوص كنظم العقد، ونسج القيطان، وحبك السفيفة، وتطريز القفطان بالصقليو اندما انتقلت إليهم عن طريق الأندلسيين و اليهود الذين كانوا يباشرونه لويتفنون بها.⁴

وكذا وفدت على بلاد المغرب جالية مسيحية فرادى و جماعات تمثلت في التجار بالدرجة الأولى و بعض رجال الدين. كمثال لذلك تواجد جالية مسيحية بفندق مدينة

¹ فيلالي، المرجع السابق، ص 138، 193،

² فيلالي، المرجع السابق، ج 1، ص 193

³ فاطمة بوعمامة، اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين 7-وه/ - أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الوسيط التاريخ، إشراف: الدكتور خالد كبير علال، جامعة الجزائر-

2- قسم -التاريخ، سنة 2009-2010، ص 144

⁴ بريشفيك، المرجع السابق، ج 1، ص 433.

تلمسان و التي كانت لها مقبرة خارج أسوار المدينة و كنائس داخل الفندق وفقا
للمعاهدة الأراغونية- التلمسانية المبرمة سنة 684هـ/1286م.¹

عموما فإن طبيعة العلاقات بين الغرب الإسلامي و العالم المسيحي اتسمت
بالعداء نظرا رغبة التوسع و الحذر وقلما سطح بريق الود و التعاون الاقتصادي و
التبادل الثقافي في عهد قوة الخلافة الأموية. و ما لبثت أن تحولت إلى شراسة الانتقام
النصراني للمسلمين بعد سقوط الخلافة الأموية لولا إنقاذ المرابطين للأندلس ثم تلتها
نجدة الموحديين.

وأخر معقل للمسلمين المتمثل في مملكة بني الأحمر في غرناطة كان مشهدا مأساويا
للعلاقات بين الغرب الإسلامي و العالم المسيحي الذي تزعمته اسبانيا التي اتبعت
المهاجرين الأندلسيين إلى غاية سواحل المغرب الإسلامي.

و عموما فمئذ الفتح الإسلامي للأندلس سادت العلاقات الحربية بصورة عامة بين
الغرب الإسلامي و خاصة الأندلس و الممالك الاسبانية في الشمال. وكانت الحملات
العسكرية الأندلسية تزداد كثافة باتجاه الشمال كلما كانت الأحوال الداخلية مستقرة و
الأوضاع هادئة، فتوجه الحكام للصد الخطر الخارجي. و كذلك كان الحال بالنسبة
للممالك النصرانية التي كانت تشن الهجوم على ممتلكات المسلمين كلما شعرت بقوتها
و ضعف المسلمين.

لكن رغم كل وقائع الضر و فالحربية و السياسية فقد تخلل ذلك عقد فترات هدنة
بين للجانبين أعطت فرصا كثيرة للاتصال و التعارف و الاقتباس؛ فسجلت اتصالات
دمبلوماسية بين الطرفين خاصة في عهد الخلافة الأموية التي تميزت بنضج
العلاقات و تبادل الوفود و السفارات. إضافة إلى ما وقع من مصاهرات بين العرب و

¹ فيلالي ، المرجع السابق، ج1، ص192

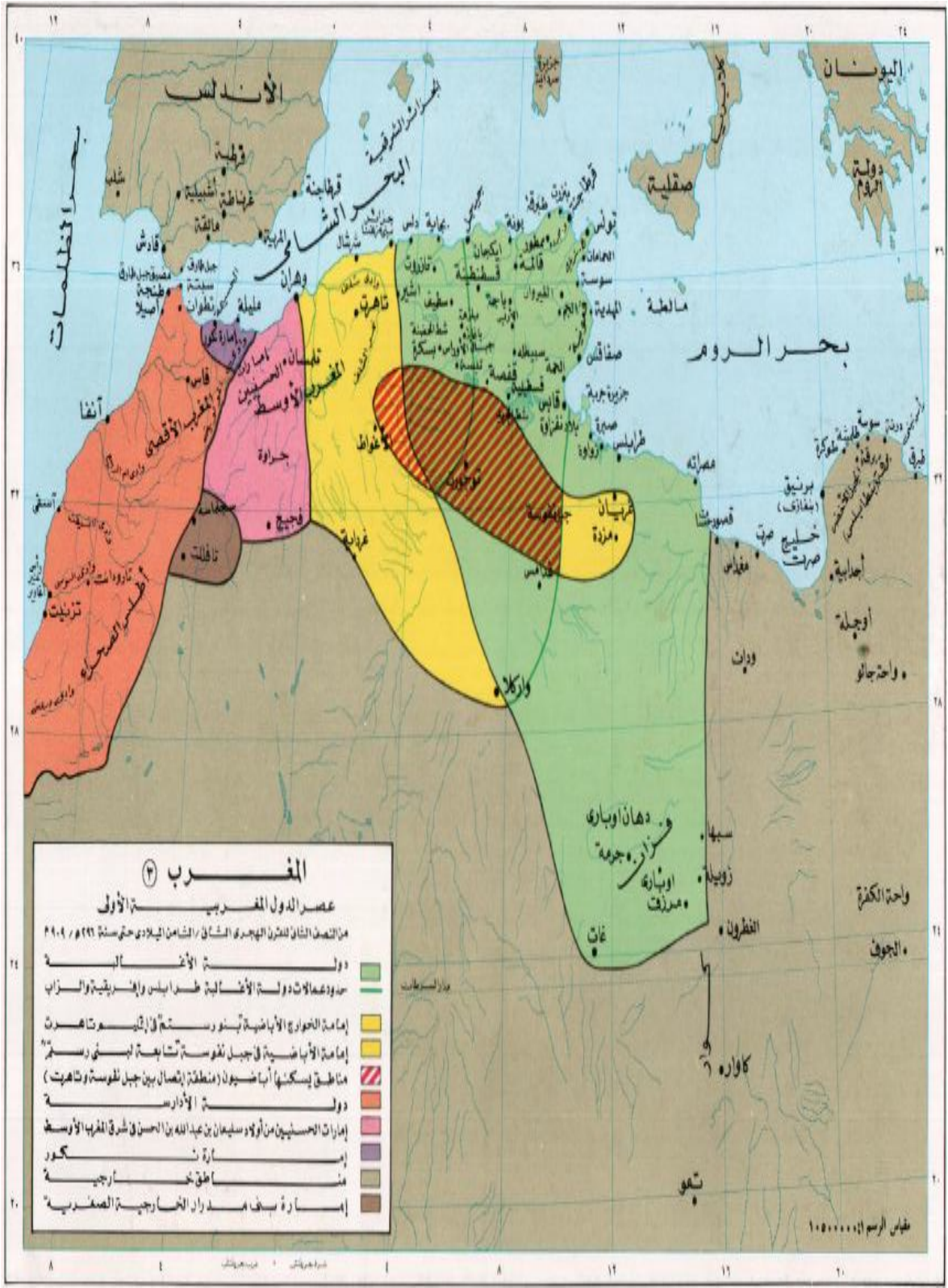
النصارى و ما نتج عنها من جيل مولد كان له الأثر البالغ في التكوين البشري و
النزعة الاستقلالية من جانب و اسهام في التطور الحضاري لبلاد الأندلس في شتى
المجالات من جانب آخر.

و كما يقول الشاعر: "أثارنا تدل علينا " فزالت الآثار العمرانية الإسلامية تشهد على
عظمة الحضارة الإسلامية في شبه الجزيرة الإيبيرية إضافة إلى التراث العلمي
الإسلامي الذي يعد أحد العوامل الأساسية لنهضة أوروبا . و صدق الله تعالى:

تِلْكَ الْأَيَّامُ نُوذِرُ لَهَا أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ ۗ ۝۱۴۰ سورة آل عمران

الملاحق

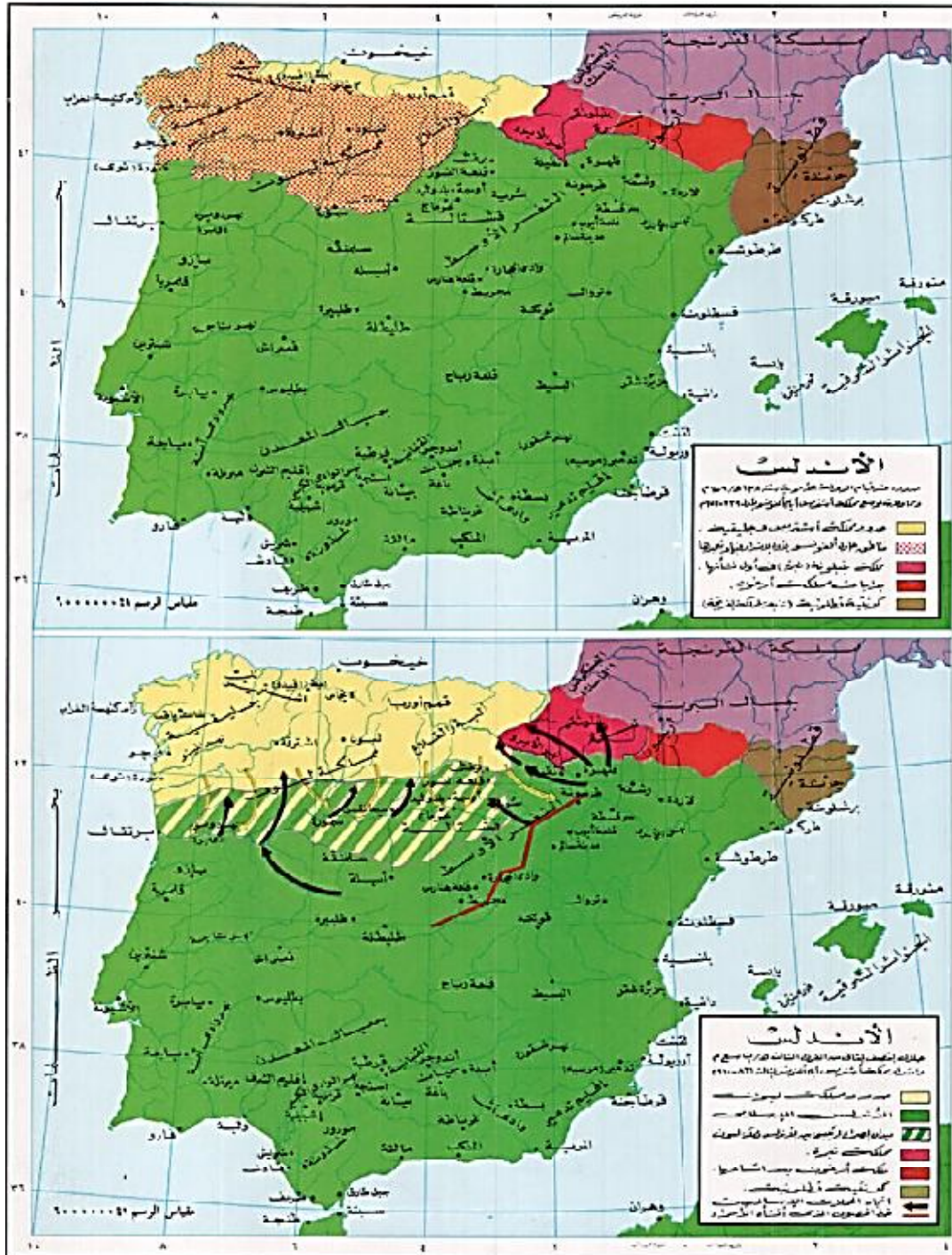
الملحق رقم 01: خريطة دول الغرب الإسلامي ق 2-3 هـ / 8-9م



حسين مؤنس أطلس العالم الإسلامي، ص 159.

الملحق رقم 02: خريطة الدولة الأموية في الأندلس والممالك النصرانية ق2-

3/8-9 م



حسين مؤنس أطلس العالم الإسلامي، ص 171.

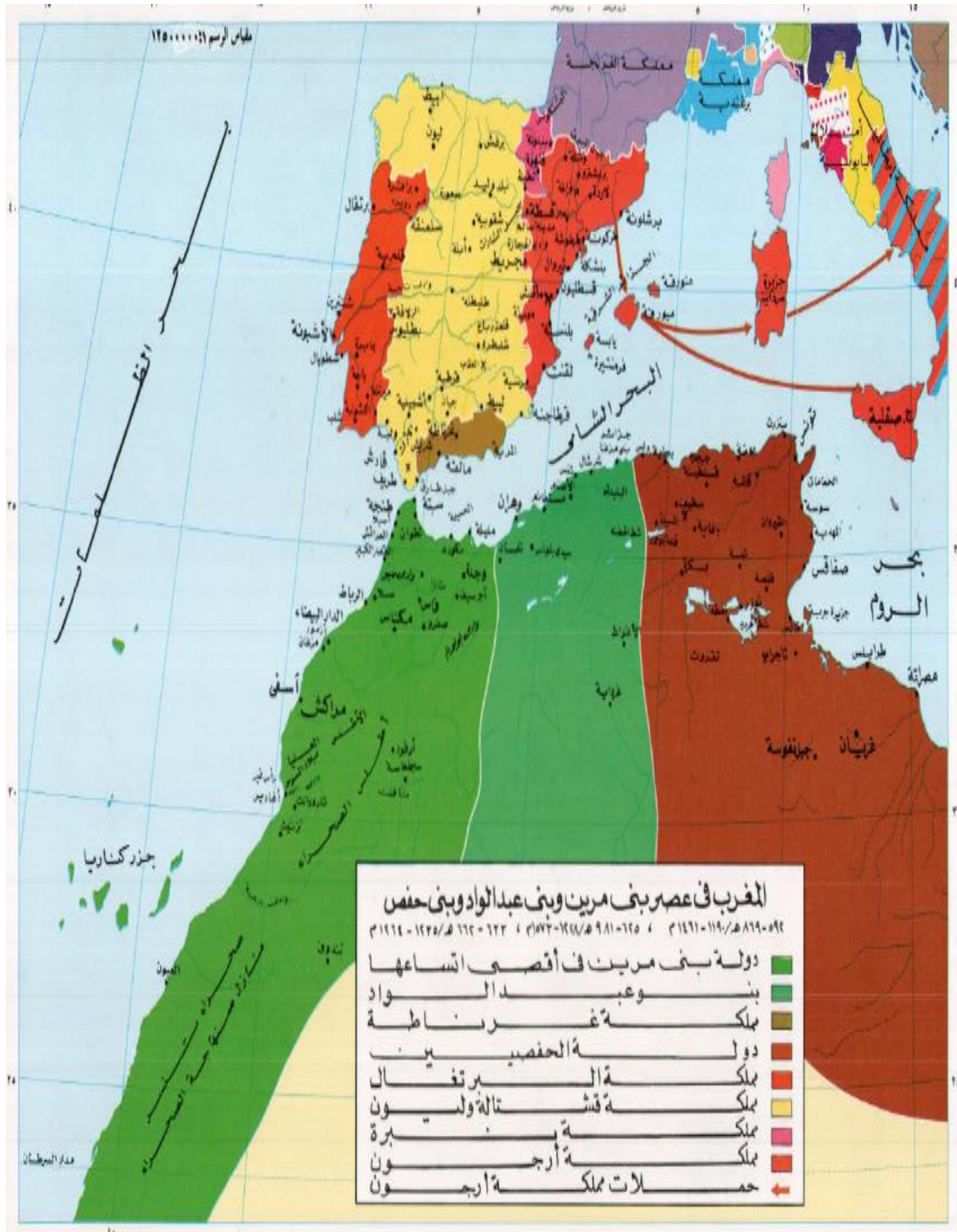
الملحق رقم 04: خريطة ملوك الطوائف ق 5هـ / 11م



حسين مؤسس أطلس العالم الإسلامي، ص 172.

الملحق رقم 07: خريطة الغرب الإسلامي والممالك النصرانية خلال ق 6-

7/12-13م



حسين مؤنس أطلس العالم الإسلامي، ص 167.

قائمة المصادر و المراجع

المصادر العربية

- 1) ابن الأبار، الحلة السيرة ج1. القاهرة، دار المعارف ، 1985
- 2) ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس، مراجعة عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1420، 1999
- 3) _____، الذخيرة السنوية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة و الوراقة، الرباط 1392هـ/1972م
- 4) ابن الأثير عز الدين، ج8، الكامل في التاريخ . بيروت دار صادر 1965
- 5) التنسي :محمد بن عبد الله ، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان" مقتطف من نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان"، تح .محمود آغا بوعياذ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر ، 2011
- 6) ابن حبيب عبد الملك ، كتاب التاريخ. ، بيروت -لبنان: ط1، دار الكتب العلمية
- 7) ابن حزم محمد دجمهرة انساب العرب ، تحقيق عبد السلام محمد د هارون،. القاهرة: دار المعارف، 2010.
- 8) الحميري عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إ . بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة، 1980
- 9) ابن حيان. ج5 ، المقتبس في أنباء أهل الأندلس (من 300 هـ - 330هـ) . مدريد، الرباط: المعهد الإسباني العربي للثقافة ، كلية الآداب، 1979 .

- (10) ابن الخطيب لسان الدين، اللحة البدرية في الدولتين النصرانية، تق محمد د مسعود جبران، بيروت، دار المدار الإسلامي،، 2009
- (11) _____ تاريخ اسبانية الإسلامية أو كتاب أعلام الأعلام ، تح ليفي بروفنسال ، بيروت ، ط 2، دار المكشوف ، 1956
- (12) _____ . ، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح عبد الله عنان، القاهرة، ط1، 1397هـ، 1977.
- (13) ابن خلدون يحيى :أبي زكريا ابن أبي بكر محمد بن محمد بن محمد بن الحسن (ت 960 هـ)، بغية الرواد في ذكر، الملوك من بني عبد الواد، ج 6 .، تق .وتح .عبد الحميد حاجيات، عالم المعرفة للنشر والتوزيع الجزائر، 2011
- (14) الرعيني برنامج شيوخ الرعيني، تح ابراهيم شبوح، دمشق، وزارة الثقافة و الارشاد، 1962
- (15) الرقيق القيرواني تاريخ افريقية و المغرب تق المنجي الكعبي، تونس ، الدار العربية للكتاب، ط2، 1426هـ / 2005.
- (16) ابن الزبير (أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الثقفي العاصمي اغرناطي) 628هـ - 708هـ) ، صلة الصلة ، القسم الخامس ، تحقيق عبد السلام الهراس و سعيد أعراب، المغرب، مطبعة فضالة، 1416هـ/ 1995م.
- (17) الزهري (أبو عبد اللّٰه الكتّاب الجعْرافية ،تحقيق محمد د حاج صادق، الظاهر، مكتبة الثقافة الدينية، (د ت)
- (18) السخاوي شمس الدين محمد د، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج 6 .، دار الجيل، بيروت، 1992

- (19) ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ط2 ، ديوان المطبوعان الجامعية، الجزائر، 1982
- (20) ابن القوطية. ابو بكر تاريخ افتتاح الاندلس، تحقيق اسماعيل العربي. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989.
- (21) ابن عذاري. المراكشي ،ج2، البيان المغرب،تج . س. كولان و ليفي برسفال،. بيروت، دار الثقافة، 1983
- (22) الغزالي أبو حامد، إحياء العلوم الدين ، ج 1 ، دار ابن الحزم ، ط1 ، لبنان ، 2005 م
- (23) ابن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي (أبو عبد الله بن محمد د) ، كتاب الذيل و التكملة لكتابي الموصول و الصلة، السفر 1، ق ، تقديم و تحقيق و تعليق محمد د بن شريفه، الربط ، مطبعة المعارف الجديدة، 1984
- (24) مجهول ،كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار،تحقيق سعد زغلول، دار النشر المغربية،1986
- (25) مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، تحقيق محمد رضوان الداية: آخر أيام غرناطة ، دار الفكر ، دمشق، دار المعاصر ، بيروت، ط2 ، 2002.
- (26) ابنهرزوق التلمساني محمد د المسند الصحيح الحسن في مآثر و محاسن مولانا أبي الحسن،تحقيق ماريا خوسيس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر ،1401هـ/1980م
- (27) ابن مريم، الشريف المليتي التلمساني: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مرا:محمد بن أبي شنب،د.ن،د.ط،د.م،1326هـ-1908م

(28) المقري التلمساني، رحلة المقري للمغرب و لمشرق تحقيق محمد، مكتبة
الرشاد للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر ،2004، .

(29) — نفح الطيب

(30) المقدسي ،أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مكتبه مدبولي ،
ط3 ، (مصر، 1991 م

المراجع العربية

- (1) أرسلان شكيب ، الحل السندسية في الأخبار و الآثار الأندلسية، جزءان،
ط1، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، 1358هـ/1939م
- (2) بحاز إبراهيم بكير، الدولة الرستمية 584 640 هـ 808 999 م " دراسة في
الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية"، ط 5 .، المطبعة العربية، غرداية،
الجزائر،
- (3) بررفنسال ليفي ، تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية
966 الرؤوف البمبي وآخرون، مر .صلاح فضل، ط1 .، الهيئة العامة لشؤون
المطابع الأميرية، القاهرة، مصر،
- (4) بريشفنك روبر، تاريخ افريقية في العهد الحفصي من ق13-ق15م ج 1 ، نقله
إلى العربية حمادي الساحلي ،بيروت دار الغرب الإسلامي، 1988،
- (5) البشري صالح ، الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس
- (6) الحجى عبد الرحمن ،التاريخ الأندلسي من الفتح الى سقوط غرناطة،بيروت،
دار القلم 1972

- (7) _____ ، الكتب والمكتبات في الأندلس مقال مجلة كلية الدراسات الإسلامية ببغداد العدد الرابع 1392هـ / 1972م
- (8) حمادة محمد ماهر : المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها ومصائرهما ، الطبعة الخامسة بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1407هـ
- (9) عبودة مريم محمد د عبد الله ، التجارة في افريقية و طرابلس الغرب خلال العصر الموحدى و الحفصى، دار الكتب الوطنية،بنغازي، 2013،
- (10) رجب محمد عبد الحليم. ،العلاقات بين الاندلس الاسلامية و اسبانيا النصرانية في عصر بني أمية، القاهرة ، بيروت، دار الكتاب المصري و دار الكتاب اللبناني،(د.ت)
- (11) سالم عبد العزيز ، تاريخ المغرب في العصر الوسيط، ط5 .، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر
- (12) السمرائي خليل ابراهيم ،تاريخ المسلمين و أثرهم في الأندلس. مصر: مكتبة الأنجلومصرية، 1986 .
- (13) السمرائي أسامة عبد الحميد حسين، تاريخ الوزارة في الاندلس. بيروت، دار الكتب العلمية،(2012م/1433هـ
- (14) السمرائي خليل ابراهيم و عبد الواحد ذنون و ناطق صالح مطلوب، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس،بيروت ، دار الكتاب الجديد، ط1، 2000
- (15) شاوش محمد بن رمضان ، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ج6 ، ديوان المطبوعات .الجامعية، الجزائر ، 2001
- (16) شبارو عصام محمد، الاندلس من الفتح العربي المرصود الى الفردوس المفقود. بيروت، دار النهضة العربية، 2002

- 17) دوزي رينهت. ج1، المسلمون في الأندلس، ترجمة حسن حبشي. القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، 1994
- 18) عاشور عبد الفتاح سعيد، أوروبا العصور الوسطى ج1 ، التاريخ السياسي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1975
- 19) العبادي أحمد مختار، في تاريخ العباسي و الأندلسي، بيروت، دار النهضة العربية، (د.ت)
- 20) العريني الباز، الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، بيروت، 1982
- 21) العريني يوسف علي، الحياة العلمية في الأندلس في عصر المرابطين ، الرياض، مكتبة الملك بن عبد العزيز، 1416هـ - 1995م
- 22) عنان محمد عبد الله. دولة الإسلام في الأندلس، ع 1، ق2 ، . القاهرة، : مكتبة الخانجي المؤسسة الوطنية للكتاب، 1417هـ / 1997م .
- 23) غزالي وفاء مختار ، السياسة الخارجية لدولة الفرنجة في العصور الوسطى، القاهرة، دار الآفاق العربية، 2013
- 24) الغنيمي عبد الفتاح مقلد ، كيف ضاع الإسلام من الأندلس، القاهرة، 1413هـ / 1994م
- 25) كحيلة رضا، القطوف الدواني في التاريخ الاسباني القاهرة ، 1419، 1998
- 26) كريم عجيل حسين ، الحياة العلمية في مدينة بلنسية ،بيروت مؤسسة الرسالة، 1396هـ/ 1976
- 27) ليفي بروفنسال، اسبانيا الإسلامية، من الفتح حتى سقوط الخلافة القرطبية،
- 28) هريم محمد د عبد الله جيودة، التجارة في افريقية و طرابلس الغرب خلال العصر الموحدى و الحفصي، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2013،

- (29) محمد مرسي الشيخ، دولة الفرنجة و علاقتها بالأمويين بالأندلس حتى أواخر القرن العاشر الميلادي، الأسكندرية مؤسسة الثقافة الجامعية، 1980
- (30) معد عبد الله ، "صالح البشري الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس 316 هـ - 422 م / 928 هـ - 1030م" رسالة ماجستير منشورة ، (المملكة العربية السعودية، 1981 م
- (31) بن مليح عبد الإله الرق في بلاد المغرب و الأندلس، بيروت مؤسسة الانتشار العربي، ط1، 2004
- (32) مؤنس حسين، أطلس تاريخ الإسلام، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، ط1 1987.

المراجع الأجنبية

- 1) Albornoz ClaudioSanchez :L'Espagne musulmane ,trad :Claude Faraggi,opu/publisud, 1985 .
- 2) Dhina (Attallah), Le royaume Abdelouadide à L'époque d'Abou- Hammou Moussa 1^{er} et d'Abou-Tachéfine 1^{er} ,Alger,1985
- 3) Lagardere Vincent , les Almoravides, L'Harmattan,Paris, 1989
- 4) Lombard Maurice , I islam dans sa première grandeur, (8è11è S) ,flammarion, ,1971
- 5) Maslatrie (M.L. de), Traités de paix et de commerce avec les Arabes d'Afrique Septentrionale au moyen âge, Paris,1866.
- 6) Provençal E.Levi: Histoire de l' Espagne Musulmane ,t1 , Paris, maisonneuve &Larose,1999.

الأطروحات و رسائل الجامعية

لقاطمة بو عمامة ، اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين 7-وه / - أطروحة
مقدمة لنيل شهادة دكتوراة في التاريخ الوس يط ، إشراف: الدكتور خالد كبيرهلال ،
جامعة الجزائر -2- قسم التاريخ -سنة 2009-2010

2 معد عبد الله ، "صالح البشري الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس 316 هـ - 422
م / 928 هـ - 1030م" رسالة ماجستير من شورة ، الملكة العربية السعودية، 1981

المقالات

(1) هواري موسى، دو الرحالة الأندلسيين في إعادة بناء المدن الساحلية بالمغرب الأوسط،
مجلة الدراسات التاريخية الدراسات التاريخية ،،مج 10، ع 1، 2022،

فهرس الموضوعات

الصفحة	المواضيع
3	البرنامج
5	احاضرة 1 : علاقة الأندلس بدولة الفرنجة
21	المحاضرة 2 الغزو النورماني
23	المحاضرة 3علاقة الأندلس بالامبراطورية الرومانية
25	المحاضرة4 علاقة الأندلس بالنورمان و بالامبراطورية البيزنطية
26	المحاضرة 5 علاقة الأمويين بالممالك النصرانية ق 4هـ/5هـ
34	المحاضرة 6 الممالك النصرانية
42	المحاضرة 7-علاقة الأمويين بالأندلس مع الممالك النصرانية منذ ق4هـ/10م
48	المحاضرة 8 علاقة لمرابطين بالممالك النصرانية.
51	المحاضرة 9 علاقة الموحدين بالممالك النصرانية.
53	المحاضرة 10 علاقة الحفصيين والزيانيين والمرينيين بالممالك النصرانية
64	المحاضرة 11 تاريخ البحرية في بلاد الغرب الإسلامي
67	المحاضرة 12 دور التجار في نقل الأفكار والتقارب الحضاري
71	المحاضرة 13 العلاقات السياسية نماذج لسفارات

75	المحاضرة 14 العلاقات العلمية تنقل الطلبة
78	لمحاضرة 15 تنقل الأفراد والهجرات
91	الملاحق
98	قائمة المصادر والمراجع
108-106	فهرس المحتويات